أوتيزم
Autism
على ضفاف الأزرق
بقلم علياء شعبان
تصميم سما

أوتيزم (المُختارة)

علياء شعبان

ضمن سلسلة حكايا بين ضفاف الأزرق

حصرية لجروب روائع الروايات الرومانسية

https://www.facebook.com/groups/rawae3rewayat/

التدقيق اللغوي والاملائي :

علياء شعبان

الغلاف الخارجي :

سما نور

التصميم الداخلي :

Deloo

التعبئة والرابط الالكتروني :

ضحى حماد

الإهداء:

" إلى أصحاب العقول الراقية، هؤلاء المؤمنون بقضاء اللّه فأرضاهم اللّه بجمال قدره، إلى المُقدرين الواعين بمعنى هذه الآية وجمالها ..

" ما أصاب من مُصيبة إلا بإذن اللّه ومن يؤمن باللّه يهد قلبه واللّه بكُل شيءٍ عليم ".

هؤلاء الذين اتقوا اللّه في أولادهم فأضحوا أسوياء لم تنل الحياةُ منهم.

دُمتم بود وأبنائكم بكم بارين.

" الفصل الأول ".

_ فتاةٌ صبية _

كان ليلًا شتويًا رائعًا، تتخبط فيه نسماتُ الهواءِ في الأرجاء وتحمل معها رياحًا باردةً للغاية، داعبت الرياح وجنتيها وهي تقف في شرفة الغرفة التي تقبع داخل إحدى البواخر المُستقرة على شاطئ النيل. فقد استأجرتها مُنذُ أسبوعٍ مضى لعرض لوحاتها الفنية الأخاذة، حيث يوجد على متن الباخرة معرضٌ لبيع وعرض لوحاتها القيمة التي رسمتها مُنذُ أن كانت في عامها الأول من الجامعة، كلية الفنون الجميلة، اختلت بنفسها في هذه الغرفة التي تقبع في آخر الممر والتي تبتعد عن ضجيج الوافدين لرؤية أعمالها الرائعة.

كانت ترتدي فستانًا باللون الأسود من خامة الدانتيل ذي أكمام تضيق على ذراعيها، صففت شعرها على هيئة ذيل حصان وتركت العنان لبعض الخصلات، وضعت قرطين بفصوص سوداء في أذنيها وخاتمًا بفص عريض كذلك، كانت شفتاها مطلية باللون الكرزي الداكن، وقفت في شموخ وقامة مفرودة تنظُرُ إلى السماء.

تنفي الدموعُ المُترقرقة في عينيها كُلّ ذلك الشموخ المُصطنع في ملامحها، دائمًا تتحايل على دموعها ألا تخونها، هي شيراز صاحبة العيون الرمادية الغامقة وشديدة الاتساع، هي شيراز تلك الفتاة التوحدية كما لقبها والداها قبل المُجتمع، تلك التي نُبذت من أكثر شخصين كان من المفترض أن يكونا لها نعم العون والسند، تركاها وهي طفلة العامين فحسب عندما ماتت والدتها همًا على ابنتها

المريضة والتي لن تعيش بطريقة سوية كباقي أقرانها من بعد الآن وتركها والدها عقب وفاة والدتها وتزوج لتنشأ بين أحضان ذلك العجوز الطيب (جدها) والد والدها.

أخبرهما الطبيبُ بعد عامٍ من ولادتها بأنها ربما تكون مُصابة بطيف التوحدٍ لوجود بعض الأعراض التي تنتمي لذلك المرض، فقد كانت تُعاني من تأخر في اكتساب اللغة وضعف في العلاقات الاجتماعية مع من حولها. وهذا ناتج عن جينات حاملة للمرض أو ربما بيئة غير سوية تسببت في ظهور المرض. والسؤالُ هنا، هل هي الضحية أم الجاني؟!

_" شيراز؟ إنتِ هنا والضيوف كلهم بيسألوا عليكِ ".

أردفت "رؤى" بتلك الكلمات وهي تصف إلى جوارها في شُرفة الغرفة، لم تُجيبها الأخيرة فتحولت رؤى بعينيها حيث تنظُر صديقتها المُتحفظة طوال الوقت، استقر بصرها إلى السماء ثم اِفتر ثغرها عن ابتسامة هادئة وراحت تقول بهدوء:

_" من يوم ما عرفتك وإنتِ عينك للسما أربعة وعشرين ساعة .. بتقولي له أيه؟! ".

حركت "شيراز" أهدابها ببطء ثم قالت من بين شفتيها المفتوحتين بشكل طفيفٍ وهي تتلعثم بشكل واضح:

_" ببـ ب بقول له إنّي بحبه، وبشكر فضله عليّا، وإنه زيّ ما اختارني في الدنيا هكون قد النعمة دي ".

تنهدت رؤى بهمّ، كانت تقبع بين يديها صينية يوجد عليها أكواب بلاستيكية داخلها حبات الترمس وقطع الليمون الناضرة، أسرعت بوضعها على سور الشرفة المُطل على مياه النيل ثم تابعت:

_" يمكن نكون صحاب من تلات سنين بس، وأنا ما كملتش تعليمي وبقيت بياعة ترمس في المراكب والعَبارات بس بفهمك من صوتك يا شيراز وبحس بيكِ، بفهمك من صوتك علشان عُمرك ما بصيتي في عينيا وإنتِ بتكلميني بس هقولك حاجة مهمة أوي يا صاحبتي".

صمتت لوهلة عن الكلام، اقتربت من شيراز حتى تقلصت المسافة بينهما ثم أسرعت بوضع قُبلة حانية على وجنتها وراحت تقول برفق:

_" إنتِ مش متوحدة ولا فيكِ حاجة ناقصة .. دي كانت فترة من حياتك وخلصت .. والفضل كُله لجدي قاسم بعد ربنا .. حبي نفسك يا شيراز علشان هي تتحب ولو على نظرات الناس ليكِ ورغبتهم في استغلال مرضك والتقليل منك فاعتبريهم هوى .. الهوى ما بيتشافش .. إنتِ بتنجحي أهو ".

أنهت حديثها ثم تناولت الصينية وتوجهت للخارج، لم تنظُر شيراز صوبها على مدار تلك اللحظات، شيراز ضياء الحديدي في وقت ماضٍ من عُمرها صُنفت ضمن الأطفال المُصابين بطيف التوحدِ، أعتبرها والداها نقمة اقتحمت حياتهما التي لم تخلُ من التوتر والخناق من الأساس ولكن الموضوع تطور بعد أن علما بمرضها وهي بعُمر العامين، توفيت والدتها حُزنًا وهمًا نتيجة تأنيب والدها لها وأنها لا تصلُح لشيء أبدًا حتى حملها أورد عنه طفلة مريضة بينما تزوج والدها عقب وفاة

زوجته مُباشرة وتركها لوالده العجوز يتولى أمرها بنفسه. أيّ فتاة غيرها كانت بكت كلما تذكرت أن والدها أخرجها من حياته للأبد ولكنها تحمد اللّه على ذلك في كُل صلاة .. تلك الصلوات التي لم تكن لتتعلمها أن بقيت مع والدها .. ولكن اللّه لم يخلق الداءَ إلا وأرفق الدواءَ به. فجدها بمثابة الدواء لها وبفضله أصبحت فتاة عادية بعدما أخضعها لبرامج تأهيلية شتى وكان ينصت إلى أحاديث الأطباء عن حالتها جيدًا .. علمها الكثير عن ذاتها وتركها بين الناس حتى تُشفى من انطوائية سلوكها .. أرفق القرآن في كُل مرحلة بحياتها .. ها هي شيراز ابنة الثلاثين عامًا قد حفظت القرآن كاملًا .. جُزءٌ كُل عامٍ ولم تكن تحتفل بعيد ميلادها كُلّ عامٍ بل تحتفل بعيد ختمها جُزءًا جديدًا من القرآن .. كان القرآنُ رفيقها كُل الوقتٍ .. تخرجت من كُلية الفنون الجميلة بتقدير عالٍ أذهل الجميع حتى مُدرسيها بالجامعة .. رغم أنها صارت سويةً إلى حد ما .. تستطيع تكوين

علاقات اجتماعية طفيفة وتمتلك طلاقة لغوية قوية .. إلا أنها تُعاني من بعض الأعراض الخفيفة؛ ترفُضُ النظر داخل أعيُن الناس أثناء الحديث كما أنها تُعاني رعشة خفيفة في كفها الأيمن.

في تلك اللحظة أصابتها رعشة خفيفة في كفها فسقط الدفتر منها على الأرض، انتبهت له في الحال حيث نزلت بجسدها إلى الأرض لتنظُر إلى الصفحة المعروضة أمامها وما كُتب بداخلها، ربما كان هذا الحدث هو النُقطة الفاصلة في المعركة القائمة بين دموعها وكبريائها:

_" أشفى من مرضي إن كُنتَ، وانتكاستي تكمُن في غيابكَ ".

انسابت الدموعُ من عينيها في قهر وحُزن صامتين، ابتلعت غِصّة مريرة في حلقها وهي تقرأ مشاعرها تجاه جدها الحبيب الذي لم يستطع حضور المعرض بسبب الخشونة التي أصابت قدميه في الآونة الأخيرة.

أسرعت بجمع الدفتر من جديد ثم استقامت في مكانها بعد أن قررت الخروج على الناس ومُتابعة فعاليات المعرض، فإن كانت تود النجاح ومُقاومة نظرات الجميع لها؛ فعليها أن تسيرَ أمامهم شامخة غير أبهة لثرثرتهم العقيمة.

توجهت صوب باب الغرفة تخرج منه، تنهدت تنهيدًا ممدودًا بعُمقٍ ثم رفعت ذيل فستانها قليلًا كي لا يعوق حركتها أمام الناس، سارت بينهم في هدوء وثبات لا تلتقي نظراتها بهم بل تنظُر إلى الجميع نظرة شمولية أو ربما سطحية .. ناداها أحد العاملين بالمكان بنبرة مُتعجلة فسارت معه حيث المُشكلة القائمة بشأن

إحدى اللوحات .. وقفت شيراز أمام اللوحة المنشودة تنظُرُ إليها بحب فهي لوحةٌ لرجل عجوز ذي لحية بيضاء طويلة يبتسم بعبث وهو يضم طفلة بين جنباته بينما تتشبث هي باللحية في مرح وضحكة عريضة .. صورةٌ يتخلل الدفء بين تفاصيلها الرقيقة .. شردت في تفاصيل الصورة أو ربما المشهد تتذكر ما كان يحدُث وقتها .. فتنتمي هذه اللوحة إلى لحظة ما كانت تجمعها بجدها أو عصفورها كما تُناديه.

ربما كان الماضي قاتمًا في طفولتي البائسة، حتى ظهر عصفوري نُصب أعيُني ورأيتهُ وقتها يُغردُ إلى تلك المُضغة المُنطفئة بين أضلُعي، ينثرُ فيها بهجة فقدتُها مُنذ زمن، هو راقي، هادىء وجميل، ذو لحية بيضاء ناعمة تنغمس أصابعي داخلها فأظُنها حلوى القُطن وأهمّ أن أتذوقها كالبلهاء فيصيح عصفوري بود "حتمًا إنكِ جائعة".

هذا المشهد بالتحديد لا يُفارق ذاكرتها فقررت أن ترسمه كي يبقى نُصب أعينها طوال الوقت، آثرت تلك الكلمات في نفسها ثم قالت بنبرة ثابتة:

_" قبل ما أعرف المشكلة يا فندم، فاللوحة دي مش للبيع .. مش للبيع خالص ".

تلقائيًا تتلعثم بصورة تُثير تساؤلات عدة في نفس المُخاطب وتبدأ في تكرار كلماتها عدة مرات لا تعلم عددها، العاملُ بنبرة مُنفعلة قليلًا:

_" هو دا بالظبط اللي بحاول أوصله له من الصُبح، اللوحة واجهة المعرض ومش للبيع ".

المُشتري بنبرة متغاظة يقول:

_" ولمّا هي مش للبيع بتعرضوها ليه؟! ".

كانت شيراز تنظُر إلى الأرض ولم ترفع عينها فيه رغم أن قامتها مستقيمة لم تنحن، رمقها الرجلُ بنظرة غاضبة يستعجب تصرفاتها الغريبة بينما تشدقت شيراز بهدوء:

_" كُل اللوحات للبيع عدا اللوحة دي، تقدر تشوف غيرها يا فندم، بعد اذنك ".

جلست "هناء" القُرفصاء أرضًا ثم وضعت وعاءً من النحاس بين فخذيها يحتوي على ثمرات البطاطس، التقطت واحدة منهم وبدأت تزيل القشرة الخارجية باستخدام السكين، كان "ضياء" زوجها يُشاهد إحدى مباريات كرة القدم بينما تختلس إليه النظرات بين الحين والآخر.

حسمت قرارها بالتوجه إليه والتحدث معه حول ما يدور براسها، كانت تعلم جيدًا بأنه لا يرفض لها طلبًا ولا ينبذ أفكاره العادية أو الغريبة حتى فهو مُنصاع كُليًا لا يتفوه بكلمة سلبية في أي قرار تختاره.

توجهت إليه ثم جلست بجوارها على الأريكة، تنحنحت في باديء الأمر قبل أن يقول هو بنبرة مُتسائلة:

_" هنتغدى أمتى يا نونا ".

هناء بابتسامة خبيثة:

_" ساعة بالكتير يا حبيبي، بس بقولك أيه؟! ".

ضياء ومازالت عيناه عالقة بالتلفاز لم يحيد عنه:

_" أيه؟! ".

زوت "هناء" ما بين عينيها بانفعال حادٍ وبنبرة عالية صرخت فيه:

_" ضياء، أنا بكلمك ركز معايا؟؟؟ ".

زفر ضياء زفرة طويلة وهو يلتفت إليها بجسده كُله وبنبرة مُرتقبة قال:

_" خير يا ستنا؟ ركزت معاكِ أهو ".

توترت هناء قليلًا قبل أن تقول متوجسة ردة فعله:

_" بصراحة يعني قابلت واحدة صاحبتي النهارده كانت بتدور على عروسة لأخو جوزها الكويتي، راسه وألف سيف يتجوز مصرية، بس بنت بنوت يعني اصله بيحب الكتاكيت الصغيرين ".

ضياء وهو يُحرك حاجبيه باستغراب وكأنه يسألها وماذا بعد؟!، ابتسمت بتوتر ثم قالت بنبرة أعلى وقد دب الحماس في نفسها:

_" وما شاء اللّه عليهم بيلعبوا بالفلوس لعب، فكُنت بقترح عليك يعني نجوز له شيراز بنتك؟! أيه رأيك في فكرتي الجهنمية .. وما أقولكش على العز اللي هييجي لنا من وراها ".

لمعت عيناهُ بحماس ما لبث أن انطفأ وهو يتذكر حالة ابنته التي وُلدت بها فقال بنبرة مُتلعثمة:

_" بس إنتِ عارفة شيراز! تعبانة من وهي صغيرة؟ ".

هناء بامتعاض واضح:

_" مالها شيراز ياخويا، دا إنتَ اللي تعبان، بنتك زيّ القطط بسبع أرواح لا هي تعبانة ولا نيلة ولسانها أطول

منها، ما يغركش شوية العياط اللي بتعملهم لمّا بتشوفنا ولا رعشتها الكدابة وشغل قعدتها في الأوضة الضلمة لوحدها، بنتك بتسوق العبيطة عليك يا ضياء .. اسألني أنا ".

زاغ ببصره في الأرجاء يُفكر قليلًا في موضوع حساس كهذا، إن نفسه ترنو لزواجها وأن يتحمل شخص ما أمرها بنفسه ولكنه ليس متاكدًا من قرار كقرار زواجها، ماذا وإن تشنج سائر جسدها وظلت تصرُخُ في نحيب متواصل كعادتها؟ من سيتحمل عبئها وغرابة تصرفاتها؟؟؟ في تلك اللحظة وجد كف زوجته يضرب على كتفه برفق ثم قالت بنبرة واثقة:

_" ما تفكرش كتير .. جه الوقت اللي تسلمها لجوزها ونقب على وش الدنيا ".

التوى شدقه في حيرة وهو يقول بنبرة مهمومة:

_"الحكاية مش بتيجي كدا، واحدة زيّ دي هتقدر تربي أطفال؟ وأصلًا هتجيبهم إزاي دي ما بتحبش حد يقرب لها؟ سيبيني أفكر وأسأل في الموضوع ".

ترجلت من سيارة الأجرة ثم نقدت السائق حقه دون أن يُخبرها بقيمة المبلغ فهي طوال الطريق تُراقب عداد السرعة جيدًا، رفعت فستانها قليلًا تتوجه صوب باب المنزل الذي يحيط به حديقة صغيرة وما أن دخلت من باب الحديقة حتى وجدت قطتها تندفع إليها بفرحة عارمة وكأنها تعد الدقائق كي تراها.

اِفتر ثغرها عن ابتسامة خفيفة وهي تجثو على ركبتها تستقبلها بين أحضانها بشوق كبير، حملتها شيراز على الفور وراحت تداع فروها الرمادي الناعم

بحُب، هذه القطة تشبهها كثيرًا حيث أنها تمتلك نفس العيون الرمادية بكُل تفاصيلها كما أنها من فصيلة القطط الشيرازي فقد أهداها لها جدها وهي في عامها العشرين لحظة احتفالها بختام الجُزء العشرين من القرآن الكريم. قبلتها شيراز بلهفة فقد اشتاقت لها كثيرًا وألهتها فعاليات المعرض عن الاهتمام بها، تنهدت شيراز بأريحية ثم خاطبتها قائلة:

_" أكيد إنتِ جعانة .. سسـ سـ سامحيني .. حالًا هجيب لك أكل ".

نهضت من مكانها عقب أن إنتهت من حديثها، سارت تحتضن القطة إلى باب الشقة التي تسكن فيها بصُحبة جدها قاسم والذي تُناديه 'بعصفوري'، لم يكن بينها وبين باب الشقة سوى خطوات قِصار حينما سمعت صوت صراخ هادر ينبعث من أحد البيوت المُغلقة ولكن هذا البيت بالتأكيد قريب منها جدًا

لدرجة أن بعض الكلمات التي تصدر من فم صاحب الصرخات واضحة بالنسبة لها .. ابتلعت ريقها في قلق ثم تجذفت في سيرها أكثر حتى دخلت الشقة وصفقت الباب خلفها، استندت برأسها على هيكل الباب، أغلقت عينيها وصدرها يعلو ويهبط فهي لا تحتمل أصواتًا عاليةً تحوم من حولها .. فتحت عينيها ببطء لتجد جدها جالسًا على كرسيه ينظُر إليها بإشفاق وحُب وبنبرة يملأها اللين قال مُستفسرًا:

_ "شيراز؟ مالك يا بنتي؟!! ".

عيناها أبدًا لا تفارقان الأرض ولكن لعصفورها وقع خاص على نفسها وردود أفعالها فتجدها لا إراديًا تُرغم بصرها على النظر له، سارت بخطوات وئيدة إليه ثم جلست على ركبتها وراحت تضع رأسها على ساقيه ثم تقول بنبرة وجلة:

_" خايفة يا جدو .. خخ خايفة .. كُل الوقت خايفة .. بس لو إنتَ جنبي مش هخاف ".

قاسم وهو يربت على شعرها بحُب:

_" غصب عني يا بنتي، جدك ماعادش فيه حيل للحركة، أحكي ليّ يومك كان ماشي إزاي؟ ".

بدأت شيراز تمسد على فرو قطتها بهدوء وهي تقول:

_" عملت زيّ إنتَ ما قولت ليّ، كُنت قوية وزيّ أي بنت طبيعية وناجحة بس بس ... ".

صمتت لوهلة وهي تنظُرُ إلى كفها الذي ينتفض بحركة خفيفة لا تنتهي ثم استرسلت حديثها بنبرة يشوبها بوادر بُكاء:

_" بس أنا مش بعرف أكون قوية طول الوقت ".

ابتعدت برأسها قليلًا تستقيم في جلستها، أخذت تهزّ رأسها هزات خفيفة بعد أن تركت قطتها تجلس بجوارها وبنبرة مُتلعثمة قالت:

_" جوز ماما قال ليّ .. شيراز إنتِ بنت مش طبيعية .. إنتِ مُعاقة ومش هتنجحي .. بس أنا نجحت علشان إنتَ جنبي ورب العباد كمان جنبي .. هو قال لي إنّي مش عندي مشاعر ومش بحس .. بس أنا عند البحر كُنت حاسه ببرد!! ".

العجوز بابتسامة هادئة:

_" للمرة المليون يا حبيبة جدو بقول لك إنه والدك مش جوز أمك، دربي نفسك على الكلمة دي، إلا بالحق كلميني كدا عن الدنيا يا شيراز؟؟؟ ".

شيراز وهي تطرق برأسها في صمت ثم تُجيب بعد لحظات من التفكير، هي وهو يعرفان ما سوف تتفوه به ولكنها تُفكر في غرابة؟ لماذا يسألها سؤال يعلم إجابته بالفعل؟؟! .. تابعت شيراز بنبرة مُستسلمة ومازالت تنظر إلى الأرض:

_" إنتَ .. إنتَ الدنيا ".

أطلق "قاسم" ضحكة عالية بعض الشيء، ضحكة تعشق نغماتها ويغزوها الحنين لسماعها مرة ثانية رغم أنه لم ينقضِ الكثير من الوقت عندما سمعتها، قام قاسم بالتقاط كفها الصغير يضغطه بين راحتيه كي تخف رعشته التي خُلقت بها هذه الصغيرة وبنبرة ثابتة قال:

_"أنا الدنيا بالنسبة لك ودا أكبر دليل على أن عندك مشاعر وبتحبي وبتحسي بغيرك .. دايمًا تغاضي عن كلام الناس ..واسمعي صوت قلبك وعقلك ".

شيراز بابتسامة خفيفة وهي تنظُرُ إلى تجاعيد بشرة كفه ثم تقول:

_" حاضر ".

.....

"الفصل الثاني ".

_ غياهب الحاضر _

جميعنا لديه بوادر توحد ولكن بدرجات مُتفاوتة، ليس بالضرورة أن تبدو شاذًا عن البقية أو غير صالح للحياة حتى يُقال عنك متوحدًا، التوحدُ هو معنى شمولي يخص به أصحاب الميول الانعزالية، يعني أن تجلس في غُرفة مُنعزلة عن العالم وتشعُر براحة ناتجة عن فعل لا يمت لطبيعة البشر الذين خُلقوا في الأرض كي يجتمعوا .. أفعالٌ بسيطة تُنبيء عن أعراض توحد.

بوادر التوحد في تكوين كافة البشر، بينما التوحد نفسه يُعد مرض غير قابل للاستشفاء بنسبة مائة بالمائة، ومعرفة ماهية المرض بوعي كافٍ قادرًا على أن يجعل طفلك يُعاني بوادره دون أن يتملكه.

" في صبيحة اليوم الموالي " ..

لِمَ عليَّ أن أصدق السيء من القول وأتغاضى عن الجميل في حقي، أيحقُ ليّ أن أؤمن بنقصي وأتناسى أنني المُختارة !!

هكذا قالها زعيم إمارتي.

قالتها في نفسها وهي تنظُر إلى اللوحة التي ترسمها تارة وإلى جدها الجالس بجوارها تارة أخرى، في وقت لاحق من الزمان كانت تسمع الطبيب يُخبرُ جدها الذي غزاهُ الشيب في مفرق رأسه قبل أن يتمكن من شعره كله عندما كانت صغيرة، كانت تسمعه يتحدث إلى جدها بنبرة راضية يُخبره بأن حالة شيراز الصغيرة تتغير يوما بعد يومٍ، أسعدهُ كثيرًا شدة ارتباطها بجدها الحبيب وأن فتاة غيرها من أطفال هذا

المرض لا يُدركون الأشخاص من حولهم، لا تتحرك مشاعرهم ولا تتعلق سوى بأنفسهم، ولكنها مُختلفة وبفضل جدها تمكنت من التغلب على ذاك المرض اللعين حتى صارت مُعافاة إلا درجتين هكذا أخبرها الطبيب بينما يُلقبها قاسم بـ " المُختارة "، تلك التي أُختيرت من قِبل اللّه ووضع فيها اختلافا لا يتسم به عباده، جعلها صاحبة قلب صافٍ وحرمها المشاعر المُتدنية نسبة إلى الدنيا.

ابتسم " قاسم" في ودّ، ظل يتأملها بروح مُبتهجة فهي تلك النبتة الذابلة وقد ترعرعت بين جنباته، يرى فيها اليوم كُل الإبداع والابتكار والتميُّز وهذا بالضبط ما سعى له كُل تلك السنوات.

انكبت شيراز على عملها تستأنف انتهاء لوحتها الجديدة، كان الدفءُ سيد المشهدِ، حيث يجلس قاسم على كرسيه بجوارها يحتسي كوب الشاي

الساخن وتجلس قطتها أمامها تُمعن النظر في الرسمة وكأنها تأقلمت تمامًا مع ألوان صاحبتها المُنثورة في الأرجاء كُل يوم. في تلك اللحظة سقط كوب الشاي من يد قاسم وأغرق اللوحة كُليًا ليصيح بنبرة مفزوعة ينظُرُ إليها:

_" شيراز في حاجة جت عليكِ؟؟! أنا آسفة يا بنتي آسف ".

رفعت شيراز عينيها له وقد زينت ابتسامة مُضاءة ثغرها لتعود إلى اللوحة ثم تنظُر إلى قطرات الشاي وتقول بنبرة مُتلعثمة:

_" هتكون أحلى .. هتكون حلوة .. حلوة .. علشان لمستك فيها".

لم تُبدِ أي ردة فعل سلبية بل تقبلت ما حدث برحابة صدر وراحت تلون اللوحة بقطرات الشاي باستخدام فرشاتها وكأنها تنوي مُعالجة الأمر وأنه ليس بالشيء السيء كما يبدو، ابتسم جدها باحسان ربما جبرت خاطره دون أن تعلم ذلك .. صمت لوهلة ثم أضاف بحبور وهو ينظُر إلى تخطيط يديها:

_" جبر الخواطر على اللّه، حاجة ما إتعلمتيهاش بس بتعمليها، عرفتي ليه بقى إنتِ مُختارة؟ علشان تكوني دوا لكُل حد مكسور خاطره من الدنيا، عارفة يا شيراز؟ إنتِ يمكن مش بتسمحي لحد يدخل لحياتك بس وقت ما يدخلها حد هتكوني إنتِ الدوا له مش هو .. ".

صمت قليلًا وهو يمسد على شعرها الناعم ثم يقول بتساؤل وهدوء:

_" فاهمة أنا عايز أقول أيه؟!! ".

شيراز وهي تومىء برأسها إيجابًا:

_" م مم مش بفهم حد غيرك يا عصفوري ".

في تلك اللحظة رنّ جرس المنزل عدة دقات متتالية، لم يتحرك أحدًا من مكانه حيث أنهما يعرفان من الطارق جيدًا، لحظات وتوقف الدق لتُهرول القطة "چامي" إلى باب الشقة فهي تعلم تمامًا أن طعامها قد وصل لتوه .. لم تُعيرها شيراز أكثر من ابتسامة في حين أن القطة حركت هيكل الباب بإحدى قدميها حتى فُتح إلى حد ما لتجد وعاءً يحتوي على كمية مُناسبة من اللبن وهنا أمدّت رأسها داخل الوعاء حتى لامس طرف لسانها اللبن وبدأت ترتوي منه حد الشبع.

_" إنتِ حطيتي طبق اللبن على الباب ومشيتي ليه؟!

أردف "شريف" بتلك الكلمات وهو ينظُرُ إلى خطيبته مُستفسرًا، تنهدت "رؤى" بعُمقٍ قبل أن تتابع سيرها بجواره في طريقهما إلى العمل .. فهو يعمل سائق لإحدى المراكب بينما تبيع هي حبات الذرة والترمس للرُكاب، يعمل الاثنان معًا في نفس المكان برغبته منه كي تكون نُصب أعيُنه ومنها يساعدان بعضهما على جني المال لاتمام زفافهما الذي يحتاج إلى الكثير من المال. عاشا قصة حُب دامت خمسة أعوام ولا تزال مُستمرة، أراد في هذه الأثناء أن يضع دبلته في إصبعها مُعلنًا ملكيته وتفرده بها، هي بسيطةٌ للغاية وهذا العامل الرئيس لتمسُكه بها، فهي مُمتلئة العين به وغنية النفس عمن سواه فلا تطلُب الكثير ولا تتشرط هي فقط تُريد أن تحيا معه بسلام ورضى.

_" مش عايزة أزعج شيراز .. ما إنت عارف هي طبيعتها كدا بتحب الوحدة ومش عايزة اختلاط بحد ".

شريف وهو يُضيق عينيه باستغراب ثم يُعلق على حديثها:

_" أنا بستغربك أوي، واحدة زيّ دي بتحب تعيش لوحدها من غير صحاب ولا أحباب، باقية عليها ليه؟؟ ".

رؤى بابتسامة ودودة رغم نظرات الملامة التي وجهتها له:

_" علشان هي ما بتعرفش تعبر عن مشاعرها طول الوقت، ممكن تكون بتحتاجني بس مش عارفة تقول، لو هي مش عارفة تصاحبني وتحبني أنا هفضل صاحبتها وبحبها وبدون مصلحة أو سبب .. اللي بيحب ما بيسألش نفسه ليه؟ هو كدا بيحب وخلاص ".

تنحنحت برقة قبل أن تنظُر له من فوق كتفها ثم تقول بنبرة مازحة:

_" وإلا كُنت سألت نفسي أنا بحبك على أيه وإنت مش لاقي تاكل؟؟ ".

رمقها " شريف " بعينين مُتسعتين ثم أردف بنبرة متغاظة:

_" لا واللّه، إنتِ هتقلبي الترابيزة عليا علشان ست شيراز ولا أيه؟؟؟ ".

رؤى بضحكة عريضة:

_" لأ، أنا بفهمك بس .. ! ".

شريف بغيظ وهو يرميها بمُعدات البيع خاصتها:

_" لا والنبي، طيب شيلي بقى هو أنا كُنت شيال أهلك واخلصي يا ولية عندي دوام ".

رؤى وهي تلتقط الحاجيات بذراع وتتخصر بالآخر وبنبرة ناقمة تقول:

_" لأ أقف عوج وإتكلم عِدل لمّا أبقى في بيتك تبقى تقول لي يا ولية، إنما أنا دلوقتي ست البنات رؤى، سامع ولا لأ".

شريف بابتسامة عريضة يرميها بغمزة من عينيه:

_" حلاوتك وإنت واثق من نفسك ".

رفعت " رؤى " أحد كتفيها بكبرياء وراحت تجذف في خطواتها بغنج وعنجهية تليقان بها وبنبرة مراوغة قالت:

_" طول عُمري يا دلعادي ".

_" جدو، شيراز جعانة !! .. إنتَ فين؟ .. فين چامي؟ ".

كانت تتسطح على الأرض براحة كبيرة أمام النافذة المفتوحة، شعرها منثور بجوارها، وأشعة الشمس ترسم ظلال وأشكال على وجهها كما أن عينيها تلمعان ببريق متألق وأخاذ، ارتدت فستان يصل إلى ركبتها من خام القطن باللون الوردي ونصف كُم. أخذت تُداعب أشعة الشمس بمرح وهي تجدها تُضيء باطن راحتها فتتضح دورة الدم فيه بشكل كبير .. تنهدت تنهيدًا ممدودًا بعُمقٍ قبل أن تقول بخفوت تكرر سؤالها:

_" فينك جدو وچامي!! ".

التوى شدقها باستنكار لتُقرر أن تنهض من مكانها حيث استندت على راحتيها ثم وقفت في الحال وبعدها

توجهت إلى خارج الغرفة وهي تبحث بعينيها عن قطتها .. لا تجدها في الأرجاء كما أن البابَ مفتوح ربما خرجت إلى الحديقة؟ سارت شيراز بخطوات مُتكاسلة إلى الحديقة .. جابت بعينيها أرجاء المكان لتجد القطة چامي تتسلل إلى البيت المُجاور لبيتهم مرورًا بالباب الذي يبدو مفتوحًا على أية حال .. التاع قلبها بقلق من أن تفقد قطتها بلا رجعة .. سارت بخطوات متوترة حيث الباب .. تعثرت عدة مرات .. ولكنها وصلت في وقت قصير.

_" چامي؟ دا مش بيتنا!! ".

وقفت أمام الباب تنظُرُ من زاويته المفتوحة قليلًا في قلق، نادت قطتها مرارًا ولكن لا فائدة، عليها أن تطرق الباب وتمرّ إلى الداخل بحثًا عن چامي المُشاكسة.

كان الظلام يسيطر على تفاصيل المكان، ربما شيراز لا تُعلني فوبيا الظلام فهي إعتادت على المكوث فيه مُنذُ الصِغر ولكن روحها تخشى التواجد بأماكن جديدة. ابتلعت شيراز غِصّة في حلقها وهي تدخل إلى البيت وتختفي بين ثنايا الظلام وبنبرة مُتلعثمة تقول:

_" چا مم مي !! چـ ... ".

وقبل أن تكرر نداءها وجدت قبضة ضخمة تلتف حول عُنقها، انتفض جسدها بهلع وسرعان ما أصدرت صريخًا عاليًا ما أن رأت ذلك الشكل أمامها.

.....

" الفصل الثالث "

_ بداية _

ازدادت جُرعة الأدرينالين داخلها، بالكاد تتنفس وهي تنظُرُ أمامها في ذعر وفزع، بينما تشتد قبضتهُ على عُنقها حتى كاد أن يُهشم حلقاته، أصدرت تأوهًا مُتحشرجًا والدموع تُغرقُ حدقتها بانهيار.

خرج صوت الشخص في تلك اللحظة مُزمجرًا في غضب وهو يقول ضاغطًا على فكيه بقوة:

_" إنتِ مين وبتعملي أيه هنا؟؟ ".

ألجمت الرهبةُ لسانها عن الرد ، لم يكُن بمقدورها سوى أن تبكي بأنين مُنخفض، رفعت كتفيها برهبة

ودفنت عُنقها فيهما دون أن تنبس ببنت شفةٍ ليصرخ فيها بحدة وصوت جهوري:

_" انطقي؟؟! ".

ازداد صوت بكائها ما أن صرخ بها ، جاهدت في أن تنطق تلك الحروف العالقة في حلقومها لتقول بنبرة مُتحشرجة وهي تضع كفيها على وجهها:

_" ش ششـ شيراز .. أنا شيراز .. چامي دخلت هنا .. قطتي".

حدق فيها بقوة وما أن أستمع إلى حديثها وتصرفها المُضطرب حتى أرخى قبضتهُ عن عُنقها ثم إبتعد قليلًا وهو يقول بصوت رخيم مُنفعل:

_" مافيش قطط دخلت هنا ، يلا اطلعي برا وما تفكريش تدخلي هنا تاني!! ".

أومأت "شيراز" برأسها سلبًا تُبدي احتجاجها على أوامره لها فهي لن تستطيع الخروج بدون قطتها، إبتعدت عنه على الفور ثم إنكمشت على نفسها وراحت تقول بنبرة باكية:

_" بس أنا عايزة قطتي ".

نبج صوتهُ بنبرة عالية للغاية يقول بانفعال كبير:

_" قولت لك مافيش قطط هنا ".

اعتلى الحُزنُ صفحة وجهها وهي تزم شفتيها بطفولة فذّة، تبدو كالأطفال بل هي بنسبة كبيرة تنتمي لهم، تمتلك جسدًا أنثويًا وعقلًا ناضجًا كفاية بينما تصرفاتها أكثر تلقائيًا عن الغير، جابت بعينيها أرجاء المكان خلسة وبنبرة خافتة رددت:

_" چامي!! .. چ چچ !!!! مي !! ".

تشنجت فرائصهُ وإعتلاهُ الغضب وهو لا يراها تنظُرُ إليه مُباشرةً، فلا يحقُ لها أن تُظهر له مدى نفورها من خِلقته! فلم يُجبرها أحدًا على التسلُل إلى بيته خلسةً ودون استئذان، تقدم منها الخطوتين اللاتي سبقتهُ وهي وتراجعت بهما إلى الوراء ثم قبض على ذراعها بقوة وبكفه الآخر ضغط على ذقنها ثم استخدم قوة قبضته كي يُجبرها على النظر إليه ثم صرخ فيها بنبرة هادرة:

_" أيه شكلي وحش مش عايزة تبصي ليّ وإنتِ بتتكلمي؟!، قرفانة مني!! .. يلا اتفضلي غوري بره ".

جذبها بقوة خلفه حتى وصل بها إلى باب البيت، بينما عافرت مليًا كي توقف جذبه لها ثم أجهشت في البكاء وهي تقول بنبرة وَهنة:

_" أنا عايزة قطتي، أبعد ".

قالت جملتها تلك ثم رفعت عينيها إليه بحركة بطيئة ومُتحرزة، اتضحت الرؤية لها أخيرًا، ظهر أمامها صورة ذلك الغاضب بوضوح، يبدو مُختلفًا عن البشر قليلًا، ولكنه بالفعل بشري!! ربما تقصُد أن به اختلافًا لم تره في أحدٍ من قبل، فوجهه مُنقسم إلى نصفين؛ أحدهما بعين طبيعية وملامح بشرية كُليًا والنصف الآخر لا يتضح منه أية ملامح، ربما تعرض لحادثة ما رُمست على أثرها النصف الأيسر من ملامحه، ربما كان تشوهًا فقد درست ذلك من قبل، هذا الأمرُ يشبهُ تمامًا اختلاط الألوان معًا .. فقد اختلطت ملامحه ولم يكُن هناك تفاصيلًا واضحًا.

لم يُزعجها اختلافه ذلك ولكنها لا تنوي إزعاجه، هي فقط تُريدُ قطتها وسوف ترحل في الحال، أنزلت عينيها بسرعة، ارتعشت شفتاها بشكل ملحوظ ثم تابعت بنبرة مُتلعثمة:

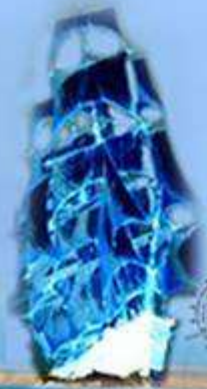

_" بعد إذنك، عايزة قطتي وهمشي بسرعة ".

قالت جملتها وهي تمحو قطرات الدموع عن وجنتيها بظاهر كفها، هزّت رأسها عدة هزّات مُتتالية، حدجها "صُهيب" بنظرة ثاقبة ما لبث أن تحولت إلى نظرة فضولية حول أمر هذه غريبة الأطوار!! لماذا تتصرفُ أُنثى في سنها بكُل تلك الطفولة؟! تجهشُ بأنين ينقطعُ له نياط القلوب، كطفلة وقفت على صخرة كبيرة وقررت أن ترمي بنفسها في تسلية وهي مُتأكدة تمامًا بأن والدها سيلتقطها ولكنها سقطت على وجهها أرضًا ولم تعُد تُحرك ساكنًا.

صُهيب هو شاب ثلاثيني تخرج من كُلية الحقوق، كان يجمعهُ بفتاة حُب دام لخمس سنوات، قرر وقتها أن يتقدم للزواج منها وتمت خُطبتهما وما أن قارب موعد زفافهما حتى تعرض لحادثة شوهت النصف

الأيسر من وجهه تمامًا عدا عينه اليُسرى لم تتأثر.. فيُمكنه أن يرى بها إلى حد ما. إبتعدت عنه خطيبته عقب الحادثة وتوالى غياب الجميع ونفورهم منه حتى من كان يُلقبهم بأصدقائه، فرغم كونه من عائلة أرستقراطية إلا أن حبيبته لم تستطع استكمال حياتها مع مشوه. ومن هنا كانت بداية نكسته التي أحدثت مُشكلة نفسية له جعلتهُ يرفض الاندماج مع العالم الخارجي ويُعادي الناس بحُكم عام، ليُقرر أن يستأجر بيتًا في أحد الأحياء الشعبية النائية عن ضوضاء المدينة ويستقر به رغم مُحايلات والدته الكثيرة معه.

نفض ذراعه بغضب وراح يكور قبضة يده وهو يدور في الأرجاء بحثًا عن القطة المنشودة، إنحرف يمينًا ليجد القطة تُشارك قطته في حصتها من طعام الغداء .. تنهد تنهيدًا ممدودًا بعُمقٍ ليقوم بالتقاطها

فورًا ويتجه بها إلى صاحبتها وما أن وقف أمامها حتى أمدّ ذراعيه لها بالقطة وهو يقول بصوت رخيم:

_" وأدي قُطتك ".

تهللت أسارير وجهها وهي تلتقطها منه بفرحة عارمة! عجيب أمرها تبكي بسرعة وتفرح في لحظة؟، ما أن التقطت قطتها حتى إبتعد عنها ووضع كفيه في جيبي بنطاله ينظُرُ إليها بتمعن وفضول قاتل، هل يُعقلُ أن يكون شخصًا أقل حظًا منه على هذه الدنيا ومصيبته أهون؟؟ .. قطع شروده صوتها المُتهدج وهي تقول:

_" شكرًا ".

أولتهُ ظهرها تفتح باب المنزل بهدوء ليوقفها قائلًا بنبرة أكثر لينًا:

_" ما قولتليش اسمك أيه؟؟؟ ".

_" شيراز ".

قالتها دون أن تلتفت له بينما تابع بنبرة هادئة:

_" أنا آسف على تصرفي معاكِ، بس وجود الناس في حياتي بيخنقني ".

أشعلت عباراته ذكرياتها مع مرضها، وعلى الفور التفتت له وكانت تمسح على فرو قطتها بهدوء دون أن تنظُرُ له:

_"إنتَ متوحد زيّ؟! المتوحد مش بيحب الناس، بس أنا خفيت وبقيت بحبهم بس هم مش بيحبوني ".

أنهت حديثها ثم غادرته على الفور دون أن يتسنى له فرصة الرد أو إبداء صدمته من تصريحها، ظل ينظُرُ إليها بدهشة حتى أغلق الباب واختفت عن رقابته تمامًا، ليُتابع بنبرة مندهشة، يود لو يبرح نفسهُ ضربًا حد الموت كما تجرأ وأذاها فقد ظنها عدوًا تسلل إلى بيته.

_" مُتوحدة!!! ".

_" أنا مش فاهم حضرتك يا أستاذ ضياء الحقيقة وعايز توصل لأيه؟؟ ".

أردف الطبيبُ المُختص بعلاج حالتها بتلك الكلمات وهو ينظُرُ إلى ضياء متوجسًا، تنحنح الأخير بتوتر قبل أن يستأنف حديثه قائلًا:

_" هو مش إنتَ الدكتور المسؤول عن حالة بنتي؟؟! ".

الطبيب بتوجس:

_" أيوة، وبعدين؟! ".

ضياء وهو يردف بنبرة مُتلجلجة يسأله:

_" أنا بقى عايز أعرف بنتي ينفع تتجوز زيّ أي بنت عادية؟!".

اِفتر ثغر الطبيب عن ابتسامة خفيفة وكأنه تمكن من استنباط ما يود الأخير القيام به، تنحنح الطبيب بثبات قبل أن يشبك أنامله معًا ثم يقول بنبرة هادئة:

_" فسيولوجيًا أه .. لأن بنتك فعلًا زيّ أي بنت طبيعية .. باختلاف بعض السمات الطفيفة .. يمكن مش هتفهمني علشان إنتَ مش بتتابع حالة بنتك ومستغرب إنك أول مرة تشرفني في عيادتي هنا ".

ضياء وهو ينظُرُ إليه شزرًا من خلف زجاج نظارته:

_" ما أنا جاي النهاردة علشان أعرف عن بنتي ".

الطبيب بتنهيدة قصيرة يقول:

_" جميل، بنتك مُصابة بالطيف التوحدي الخفيف مش التوحد نفسه، في فرق بينهم طبعًا في الدرجة، الأول بيوصل فيه الطفل إلى نتايج جيدة وبيلتحق بالأشخاص العاديين ولكنه بيفضل يعاني من سمات خفيفة مُتعلقة بالمرض .. يعني نقدر نقول إن بنتك بتعاني من سمات التوحد ودي أخفّ بكتيرمن تشخيص التوحد .. أما بالنسبة للزواج فهي طبيعية جدًا وعادي تتجوز ولكن الزواج مش مُتوقف على قبول بنتك أو رفضها، الزواج متوقف على الطرف التاني هل في شخص هيقبل بنتك على أزمتها دي؟ بنتك بتعاني من الاجتماعية والانعزالية في نفس الوقت .. يعني مش هتتكيف مع زوج هيطلب حقه

فيها كُل يوم!! بنتك سيكولوجيًا مش مُستعدة وعلشان زواجها يكون ناجح لازم الطرف التاني يكون قابلها على عيبها، وأسمعني كويس .. من غير موافقتها مش هيتم الزواج دا وممكن يؤدي إلى إنتكاسة في حالة بنتك .. الإجبار في حالة بنتك نُقطة صفر جديدة ".

تنهد "ضياء" تنهيدًا ممدودًا بعُمقٍ وهو شاردٌ في حديث الطبيب، رمقتهُ هناء بقلق من أن يؤثر حديث الطبيب على قراره، توترت قليلًا قبل أن تقول بابتسامة كاذبة:

_" أكيد مش هنجبرها يا دكتور، بس هي كويسة يعني الحمد للّه".

الطبيبُ وهو ينظُرُ إليها نظرة ساخطة، فقاسم صديقه الصدوق والطبيب على علم كامل بأخبار هذه العائلة وقد عالج شيراز مُنذُ أن كانت بعُمر العاشرة ويعلمُ

جيدًا أن هذه السيدة هي حيةٌ تنوي دس سمها قريبًا، لذا انتابه شعور القلق وهو يرمُقهما بنظرات ثاقبة .. ثم يقول بنفاد صبر:

_"أرحموا من في الأرض، يرحمكم من في السماء!! ".

_" كدا يبقى ناقصنا الأنتريه والسجاد وشوية رفايع ،وبكدا إستغنينا عن النيش ".

أردفت "رؤى" بتلك الكلمات وهي تُدون ما قامت بشرائه لزفافها، كان شريف يُتابعها في صمت يجلسان معًا على ضفة النيل، شهقت "رؤى" فجأة ثم ضربت مُقدمة رأسها بأناملها وراحت تقول بضيق:

_" يا ربنا!! نسيت المراوح والغسالة!!!، تفتكر أغسل على إيدي، دي التلاجة بشيء وشويات هنجيب تمنها منين؟؟؟ ".

في تلك اللحظة زفر شريف زفرة طويلة ثم أسرع بالتقاط الورقة والقلم من بين يدها وقام بوضعهما على جنب وهو يقول بنبرة حانقة:

_" يا شيخة إرحميني، تعبان طول اليوم في الشغل وبقولك وحشاني تعالي نقعد على الكورنيش ناكل لنا كوزين دُرة وفي الآخر بتشيليني هم فوق همي!! ".

إلتوى شدقها باستنكار وهي تنظُرُ إليه بضيق وبنبرة حزينة قالت:

_" إخص عليك!! والله ما أقصد يا شريف، أنا غلطانة يعني إني عايزة ربنا يجمعنا على خير في بيت واحد قريب؟ تصدق إنتَ ما بيطمرش فيك حاجة!! ".

شريف وهو يبتسم بطريقة عابثة:

_" يا بت ما أقصدش .. أما إنتوا النسوان عليكم كِيد! تبقوا غلطانين وتطلعوا منها زيّ الشعرة من العجينة ويبقى الحق معاكم كمان .. ".

صمت لثوانٍ ثم أردف بنبرة لينة وهادئة:

_" يا بت أنا قصدي نقعد على رواقة ننسى هموم الدنيا المُرّة دي، طب وربنا إنتِ الحلو اللي مديها طعم، هو أنا بعافر ليه؟ علشان لمّا تكوني ليّ وربنا يرزقنا بحتة عيل يعرف يعيش وما يقولش منك للّه يا با .. جايبني الدنيا دي أشقى وأشوف الذُل، إحنا فقرا أه .. بس أعنيا بحُسن ظننا باللّه .. فسيبيها تمشي زيّ ما هو مرتب لها ".

أومأت رؤى بتفهم وهي تبتسم له ابتسامة عاشقة، بينما قام هو بإمالة رأسها على كتفه كي تنام عليه

ثم وضع حبات الذرة المشوية في فمها وراح ينظُرُ إلى السماءِ قائلًا بحُب:

_" الحمد للّه على رؤى يااااارب ".

_" امشي إنتَ واقف مستني أيه؟! ".

أردفت هناء بتلك الكلمات وهي تجذب ذراعه كي يتقدم من باب المنزل، تنهدت تنهيدًا ممدودًا بعُمقٍ وهو تنظُر إليه شزرًا وبنبرة حانقة قالت له:

_" هتيجي معانا يعني هتيجي، أوعى تخليها تمشي كلمتها عليك!! أديك سمعت الدكتور قال تتجوز عادي ".

مسح "ضياء" على وجهه ثم أومأ برأسه في هدوء وراح يتقدم من باب المنزل وزوجته تتبعهُ، طرق على الباب بقوة مرة واثنان وثلاثة في انتظار فتح الباب ...

على الناحية الأخرى، فُتح بابه لأول مرة بإرادة منه، سار بخطوات وئيدة إلى خارجه وفي يده قطه التي أنزلها أرضًا مُقررًا أن يُراقب طريقه إلى بيت صديقتهُ الجديدة .. فهو بالطبع يعلم أن تسكُنَ .. فهما يزوران بعضهما بين الحين والآخر .. يبدو أن قطه صار عاشقًا .. ومن هنا يُمكنه معرفة أين تقطُنُ تلك المتوحدة البريئة !!!!

.....

ع ل ي ا ء

" الفصل الرابع ".

_ التعلقُ نصف وهم _

مَنْ لا يرحم .. لا يُرحم، مَنْ لا يُقدم للغير سوى الأذى لا يجني سوى الشوك. كُن بلسمًا أو علقمًا، ستجني الدواءَ أو البلاءَ.

_" أمشي معايا يا شيراز بلاش دلع ".

أردف ضياء بتلك الكلمات وهو يُجبر ابنته على السير معه خارج المنزل، ابتسمت هناء في تشفٍ ورضى، تكره شيراز جمًا ولا تريدها أن تُشارك أطفالها ثروات والدهم وجدهم المهولة!! كم هي حمقاء كبيرة تسعى دائمًا للحصول على الأموال من وراء هذه البريئة .. وقتما تأمرُ زوجها على ملاحقة

ع ل ي ا ء

ابنته داخل المعرض والحصول على أموال بيع اللوحات وترك بعض النقود لابنته التي لم تفعل شيئًا يُذكر سوى أنها رسمت اللوحات!!. أخرجت شيراز أنينًا مُزمجرًا وحاولت قدر الإمكان تثبيت قدميها بالأرض علها تجد سيئًا لا يخذلها ولو لمرة واحدة وبنبرة باكية صرخت:

_" جدووو .. تعالى خدني .. أنا عايزة أكون معاك بس ".

اندفعت هناء نحوها بقوة .. كان الشررُ يقدح من عينيها بشكل كبير وبحركة مُفاجأة قامت بصفعها على وجهها وهي تقول بنبرة مستشيطة:

_" ما تتعدلي يا بت؟ إنتِ مافيش حد عارف يلمك!! ".

أجهشت شيراز باكيًا في الحال، لا يسعها سوى البكاء فهي لم تتعلم يومًا وسائل الدفاع عن نفسها، لا تُحب العُنفَ ولا أصحابه، نظر ضياء إلى زوجته نظرة غاضبة على تصرفها وهذا يُعتبر أقصى رد فعل يُمكنه بذله تجاه هذه الزوجة البغيضة. قامت شيراز بالجلوس أرضًا وراحت تهزّ رأسها هزّات سريعة جوابها النفي وبنبرة باكية قالت:

_" إنتَ مش بتحبني علشان كدا مش بقول لك يا بابا، م مم مينفعش أظلم كلمة حلوة زيّ دي .. ربنا فوق فوق وحاسس بيا وسامعني .. بكرا ربنا هيرجع ليّ حقي .. ".

نكست ذقنها بالأرض تبكي بحُرقة ووهن، وكيف لا تبكي وقد وُلدت بلا أب يحنو على طفولتها .. لم يعترف بها إلا عندما نجحت وصارت فتاةً طبيعية

تتحسن يومًا بعد يومٍ وتخوض تجارب حياتها وحدها دون اللجوء إليه .. يا تُرى هل يود في النهاية أن يُعيدها إلى نُقطة الصفر من البداية تلك الصغيرة صاحبة الثلاث سنوات التي تبكي بلا توقف ولا تُدرك عمن حولها شيئًا ولا حتى والديها .. لم تكُن تعرفهما مُطلقًا .. بينما جاء مُنقذُها الجميل لينتشلها من ضيق مداركهما بشأن طفلة خُلقت باختلاف قابلا للمُعالجة.

_" أنا كويسة مع جدو .. كك كويسة وإنتَ مش هنا .. أنا مش بحبك .. إنتَ بتوجعني ".

خرجت تلك الكلمات من أعماق قلبها وراحت تضع وجهها بين كفيها بعد أن جثث على ركبتيها أمامهما، أخرجت هناء زفيرًا طويلًا قبل أن تقول بنبرة عدائية مُستنكرة:

_" اتفرج؟ هي دي المريضة!! لسانها أطول منها .. كان يوم أسود يوم ما شوفتك ".

ضغط ضياء أسنانه بقوة قبل أن يتابع حديثه بنبرة حازمة وهو يترك ذراعها بحنق:

_" قدامك أسبوع يا شيراز .. فكري فيه .. وهاجي أخدك تتعرفي على خطيبك ونكتب كتابكم ".

ألقى كلماته الأخيرة بصرامة مُنقطعة النظير غير عابئ بمشاعرها التائهة أو حتى بُكاءها الذي تهتزّ له جدران القلوب الجائرة، وضع كفه خلف ظهر زوجته يدفعها إلى باب الشارع برفق تاركًا إياها خلفه تنساب الدموعُ من عينيها بخيبة ظن.

ظل يراقب المشهد من بعيد ، فيفصل بين الحديقتين أسلاكُ نحاسيةٌ، كان واقفًا في زاوية مُتوارية قليلًا يستمع إلى الحوار الدائر بينهم في دهشة وتيه!! وما أن وجدهما يخرجان إلى الشارع حتى نظر إليها نظرات مُشفقة .. للحظة أراد أن يتدخل ويُلقن ذلك الرجل درسًا لن ينساه ولكنه تحقق من شخصيته عندما أشارت شيراز بأنه والدها .. فقرر الاستمرار خارج الصورة. غريبةٌ هذه الدنيا ، كُلٌّ منّا يعتقد أن أزمته هي العُظمى حتى يتفاجأ بما هو أعظم فيتعظ .. ربما دخولها المُفاجيء إلى حياته علمهُ درسًا أكثر ثراءًا عن الإيمان بقضاء اللّه فقد كان يفتقر لهذه النُقطة فعلًا ، لم يخلق اللّهُ شيئًا إلا لحكمة يعلمها هو. فوجودها داخل بيته من باب الخطأ حتى يتعرف على فتاة صاحبة شخصية غريبة ومن ثم يكتشف مُعاناتها أجبره على أن يُعيد حساباته القديمة وأن لا أحد يستحق أن نتخاصم مع أنفُسنا من أجله وأن ننبذ الحياة حلوها ومرها!!.

_" ما تزعليش!! ".

انتبهت إلى ذلك الصوت فاخفضت من صوت أنينها وهي تنظُرُ إلى الحذاء الأسود أمامها، لم تنبس ببنت شفةٍ حينما رفعت بصرها إليه قليلًا ثم عادت تنظُرُ إلى الأرض من جديد ربما الخذلان أثقل كاهلها وأجبرها على أن تبقى مُنكسة الرأس لفترة ما. انهمرت الدموعُ من عينيها بغزارة بينما جثى هو على ركبته أمامها ثم تابع بنبرة هادئة جدًا:

_" أنا سمعت مُشكلتك مع والدك ووالدتك .. مش عارف هم صح ولا غلط بس الأكيد إنهم ماينفعش يجبروكِ على حاجة مش عايزاها ".

شيراز بتلعثم من وسط أنينها الصامت:

_" مش م مم ماما .. مراته ".

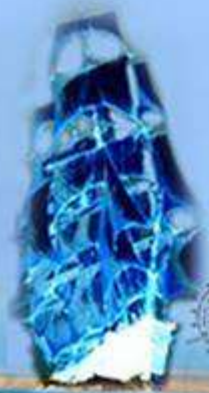

قطب ما بين حاجبيه باستغراب، طالما ليست بابنتها، مَنْ منحها حق ضربها واتخاذ قرارات حياة الناس؟! فالأمرُ واضحٌ للغاية، ربما والدها يحتاج إلى أن يكون صاحب كلمة لمرة واحدة، تنحنح بخشونة وهو يُمعن النظر في ملامح وجهها الذابل قبل أن يُتابع بنبرة مازحة مُحاولًا الخروج عن الجو السائد بالمكان:

_" المرة اللي فاتت إنتِ دخلتي بيتي من غير ما تستأذني، والمرة دي أنا اللي عملت كدا؟؟ ".

كانت تجلس على ركبتيها أمامه وعيناها تنظران إلى الأرض في خذلان، ارتسمت على شفتيها ابتسامة خفيفة حينما وجدتهُ يمدّ ذراعه لها قائلًا بنبرة مرحة:

_" أنا صُهيب .. جارك .. وإنتِ شيراز أنا عارف ".

ظلت شيراز تنظُر إلى كفه لبعض الوقت إلا أنها حسمت أمرها وأمدّت كفها له كي تُصافحه بابتسامة هادئة، بادلها نفس الابتسامة ثم أخرج منديلًا من جيب بنطاله وأعطاهُ لها قائلًا:

_" امسحي دموعك ما تعيطيش ".

همّت أن تمسح دموعها ولكن منعتها تلك الرعشة المُتربصة بكفها .. لاحظ هو إخفاق كفها في محو عَبراتها ربما خانتها أعصابها من كثرة البكاء .. هكذا خُيل له .. وهنا قرّب كفه من راحتها ثم التقط المنديل فورًا وراح يمسح دموعها بنفسه وهو يقول بنبرة تساؤلية:

_" إيدك بتترعش كدا ليه؟! ".

كانت شيراز مُستسلمة تمامًا لتصرفه تجاهها، كانت تستكشف ما يقوم به في هدوء وبعينين مُتسعتين

وكأنه كائنًا فضائيًا يقف أمامها .. ربما لأنها لم تلقَ إهتمامًا من أحد من قبل سوى جدها؟ .. تلاقت أعينهما لوهلة .. حدقت شيراز فيه بتلقائية رغم أنه إنتهى مما يفعل ولكنها لم تشعُر بذلك. لا يوجد في قاموسها شيءُ وسطي .. فهي إما أن تتجنب النظر إلى الناس أو تُحدق فيها ببلاهة طفلة لا تفهم ما يجري. ابتسم صُهيب بهدوء ثم التقط راحتها المُرتعشة بين راحته وبنبرة ثابتة قال:

_" بتاخدي لها علاج!! ".

أومأت برأسها نافيةً، ترك راحتها برفق بعد أن وضع المنديل بها، أطرق برأسه قليلًا قبل أن يقول بنبرة خافتة يُخاطبها:

_" إنتِ مش خايفة من شكلي؟! ".

شيراز وهي تنظُرُ إلى المنديل القابع في راحتها ثم تقول بتلقائية:

_" لأ، هخاف من أيه؟! ".

صُهيب باستكمال:

_" من وشي المحروق!! ".

أومأت برأسها سلبًا .. كانت لا تُفكر في كلامها قبل أن تنطقَ به .. كانت تقولوا ما يجوب في خلدها ويضمرُ داخل أعماق روحها .. كانت نقية صافية .. تبعثُ نقاء السجية وشعور الخير على كُل مَنْ تُقابله ولو حتى صدفة. تنهدت بهدوء خفيف قبل أن تقول:

_" ربنا خلقنا علشان أرواحنا تتحب وتتلاقى .. مش أشكالنا ".

اغرورقت عيناهُ بالدموع وهو يستمع إلى إجابتها التي بعثت على نفسه السكينة والطمأنينة، نحن فعلًا من نفس طين الأرض، فإذا مات المشوه صار رُفاتًا وإذ مات الجميل صار رُفاتًا .. النتيجة واحدة في النهاية .. ولكن الروح الطيبة مثواها الجنة بينما الروح الخبيثة مثواها النار، إذن المُعادلة هنا اختلفت .. فواللّه سنغدو رُفاتًا ويبقى الأثر.

_" شيراز، ممكن نكون صحاب؟! ".

قالها "صُهيب" وهو ينظُر إلى ملامحها الساكنة، لم تنبس ببنت شفةٍ لا تنفي ما يقوله ولا تُبدي موافقتها حتى بينما تابع هو بنبرة مُتفائلة:

_" إنتِ تعلميني أحب الحياة وأنا هساعدك تعيشيها ".

شيراز بنبرة تلقائية:

_" إزاي؟! ".

صُهيب بابتسامة عريضة عندما استجابت لحديثه:

_" أنا هسمعك وإنتِ تتكلمي علشان أنا مرتاح بدا .. وأنا أوعدك هكون جنبك للنهاية ".

مطت شيراز شفتيها بلا مُبالاة وكأنها لم تُدرك بعد ما يقصدهُ إلا أنها غيّرت محور حديثهما إلى سؤال لم يسمعه من أحد في حياته إلا منها:

_" بتحب القرآن؟! ".

ظل صامتًا لفترة ما ، ينظُرُ فحسب إلى تفاصيلها بعينين مُتسعتين يملأهما الصدمة، ابتلع غِصّة مريرة في حلقه وهو يقول بنبرة ثابتة:

_" أكيد بحبه ".

شيراز بطفولة وهي تضغط كفيها ببعض تود أن تُخبره بإنجازها العظيم:

_" حافظ كام جُزء؟ أنا حافظه القرآن كُله ".

أضحت حدقتاهُ أكثر إتساعًا هذه المرة، ماذا؟ القرآن كاملًا؟! هو المُصابُ بالتوحد والبلاهة والخطل وليس هي! بماذا سوف يُجيبها؟ فتاةٌ تُعاني بعض الاضطرابات السلوكية والنفسية وبكُل هذا القُرب من ربها!! بينما هو في كامل قواه العقلية والجسدية ولم يسجدُ في حياته، حتى القرآن يحفظ منه بعض الآيات فقط.

تحنحنح قليلًا في توتر قبل أن يقول بهدوء:

_" مش حافظ غير جزء عمَّ .. آخر جزء في القرآن ".

صمت لثوانٍ في خجل عظيم من نفسه، هذه الفتاةُ تُقحمه في دوائر عديدة ومتاهات ولكن الغريب أنه يجد المخرج والجواب في كُل مرة، ربما هي العوض الذي طلبه من اللّه طويلًا؟ ربما هي الأداة التي سوف تُعيده إلى طريق تمنى دائمًا أن يمضي فيه!!

_" صوتك حلو بقى وإنتِ بتقرأي؟؟ ".

قالها وابتسامة عاقلة تداهم ثغره مالبث أن اتسعت عندما وجدها تقول بنبرة حاسمة وحيوية على عكس حالتها في بداية اللقاء:

_" عصفوري دايمًا بيقول إن اللي بيقرا صورة الاخلاص عشرمرات .. ربنا بيبني له قصر في الجنة ".

أنهت حديثها ثم بدأت في التلاوة مُباشرةً، بنفس مُتلهفة رغب أن يُشاركها التلاوة فبدأ يُردد خلفها بنبرة خافتة وما أن إنتهت حتى تابعت بنبرة صادقة:

_" مش لازم تقرا ورايا .. أنا هبقى اخليك تعيش معايا في قصر الجنة ".

في تلك اللحظة استندت على رسغيها ثم نهضت من مكانها وتركتهُ غارقًا في نقائها وسحره، تنهد تنهيدًا ممدودًا بعُمقٍ وهو يقول بنبرة مُتلهفة لبقائها:

_" إنتِ رايحه فين؟! ".

شيراز وهي تواليه ظهرها بهدوء ثم تسير صوب باب شقتها:

_" هصحي جدو علشان نصلي ".

ظل يُراقبها حتى دخلت إلى بيتها، أرادها أن تنظُرَ له حتى يستجديها بعينيه أن تبقى قليلًا بينما أغلقت الباب خلفها وتوارت عن أبصاره، أرخى جفونه بهمّ

وخيبة أمل، تعلق بها كثيرًا .. أرادها أن تبقى معه لأوقات طويلة .. هي حالة روحية ومُريحة .. نموذجُ افتقده طوال حياته.

إستقام واقفًا في مكانه يأمرُ قطه بالمُضيّ أمامه حتى خرج من باب الحديقة وذهب متوجهًا إلى بيته ولا تزال عيناه عالقة بالباب علها تستمع إلى صوت لهفته وترق لحاله ويجدها تأتي خلفه قائلة بأن حديثهما لم ينتهِ بعد!! .. توجه على مضض إلى باب منزله بعد أن قرر في نفسه البحث في مرض هذه البريئة كي يتمكن من فهمها بصورة أكبر، لذا عليه أن يقرأ ما هو التوحدّ؟! عليه أن يدرس الأمرَ من جذوره وجوانبه، لا يفعل ذلك إلا مُحبًا يهمه أمر إسعاد ومُساعدة من يُحب، الذي لا يُحبك لن يُكلف نفسه عناء البحث خلف أحزانك وإرغامها على أن تتلون كالحرباء فتصير فرحًا.

توجه تلقائيًا نحو الدرج كي يصعده إلى غُرفته العُلوية، صعد الدرجة الأولى من السلم ولكنه توقف فجأة وأطرق لثوانٍ يتذكر حرصها الشديد على أداء الصلاة في أوقاتها .. يُخالجهُ الإحساس بالراحة .. يتطلع إلى تجربة جديدة لم يقم بها من قبل .. التفت ببطء ينزل تلك الدرجة ثم توجه بهمّة إلى الحمام ينوي أن يسجُد للّه .. للمرة الأولى في حياته .. عليه أن يُشكرَ اللّه على نعمه الكثيرة .. أن يشكره على طريق صافٍ لا مُتعرج يظهرُ له عند مُفترق الطُرقات فيُرشده دون أن يتيه أكثر من ذلك.

انتهى من وضوئه ثم فرد سجادة الصلاة ويراوده شعورًا بالرهبة وهو يقف بين يدي اللّه، كَبر بصوت جهوري وبدأ يتلو ما تيسر له من القرآن .. دقائق قليلة مرّت قادرة على أن تزيل آلام يوم كامل .. قادرة على أن

تبعث السكينة والسلام في نفسك ما دُمت عنها لا تستغني.

وما أن إنتهى حتى أسرع بالجلوس على الأريكة، التقط هاتفه باهتمام وبحث في مُحرك جوجل عن مرض التوحد ، ما هو؟ وأسبابه؟ وأنواعه؟! كيف يتم التعامل مع مرضاه؟! ما الذي يُزعجهم وما يروقهم؟ وما هي السمات التي يتزود بها التوحدي!.

ظل هكذا قرابة الساعتين، يقرأ ويقرأ ويلتهم السطورَ بشغف وحُب إستطلاع، إذن فهي تُعاني طيف التوحد الخفيف! يتسم أصحابه بميلهم إلى الدرجة الطبيعية باستثناء بعض السمات! نعم يرى بها كُل ما كُتب هنا؟ فتتجنب النظر داخل عينيه تلك صاحبة العيون الرمادية الجذابة .. يُسيطر على كفها رعشة طفيفة ما أن يضعه بين راحتيه تسكن حركته ..

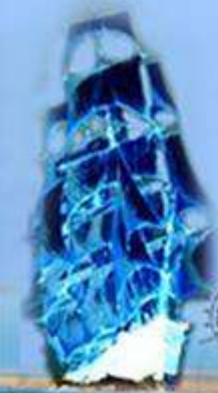

تتلعثم مرارًا يُمكنها أن تُردد الكلمة أكثر من مرّة .. يا إلهي لما لا تُناديه باسمه عدد لا نهائي من المرات؟ لن يمل الانصات لها على كُل حال .. حصيلتها اللغوية جيدة ولكنها لا تستخدمها كثيرًا حتى ذكائها يتخطى الدرجة العادية ويظهر ذلك في موهبتها وقُدرتها على تخطي الدراسة الأكاديمية.

" على الجانب الآخر ".

خلدت قطتها للنوم في السلة القابعة بجوارها، بينما عقصت شيراز شعرها كعكة ووضعت لوحة جديدة على النُصب الخشبي الخاص بها .. أسرعت بجلب مُعداتها ومصدر بهجتها وبدأت تخط أول خطوات برسمتها .. سجلت هيئته بعدسات عينيها الرماديتين .. فلا تحتاج أن تراه أمامها .. هي الآن تحفظ تفاصيله بدقة .. ولكن أين ستقودها الرسمة في النهاية!!.

انقضى أسبوعُ إلا يوم .. صار الغريبان صديقين .. وتأقلمت الانطوائية على الاجتماع .. تعلق البائسُ بقشة بهجته .. تحولت الصداقة إلى وجد دفين غير مُصرح به حتى الآن.

عادت بجسدها إلى الوراء قليلًا وراح تتنهد تنهيدًا ممدودًا بعُمقٍ وهي تنظُر إلى لوحتها التي إنتهت لتوها بعد عناء دام أسبوع .. ابتسمت بهدوء عندما تحولت ببصرها إلى صديقتها ووجدتها تنظُرُ إليها بنظرات عابثة ومُحبة تضع قبضتها أسفل ذقنها.

تنحنحت "شيراز" قليلًا قبل أن تقول بتلعثم:

_" ح حـ حلوة يا رؤى!! ".

رؤى بابتسامة عذبة ونبرة مرحة تقول واصبعيها السبابة والإبهام يتلامسان بينما الثلاثة الأولى منتصبين في دقة:

_" حلوة أوي أوي يا شيراز ".

ابتسمت شيراز في خجل وهي تطرق برأسها، هبّت رؤى من مكانها في سعادة، فهي لا تحتمل الوقوف في صمت هكذا؟ سوف تنقض على صديقتها وتحتضنها بشوق وحنين، صديقتها يراودها شعورًا .. شعورُ كباقي الفتيات؟ هل يدق القلب بين أضلُعها فعلًا؟ وَدت لو تغوص داخل خبايا صديقتها وترى بنفسها .. أسرعت بضم صديقتها على الفور .. اعتادت ألا تُبادلها شيراز الود .. ولكنها وجدتها تربت على ظهرها بهدوء مما جعل فرحتها تتضاعف وتكبر.

أسرعت رؤى بالإبتعاد عنها قليلًا ثم أردفت بحماس بعد أن قبضت على ذراعها:

_" أما همشي بقى وإنتِ إلحقي وري له الصورة ".

ظلت تجرها خلفها حتى باب الشقة ثم فتحته وقادتها إلى الخارج وما أن وصلتا إلى باب بيته، قامت رؤى بتقبيلها ثم غادرت .. ابتلعت شيراز ريقها بتوتر .. رفعت كفها إلى الباب كي تدُقه ولكنها وجدتهُ يفتحه وراح ينظر إليها بدهشة قائلًا:

_" شيراز واقفة كدا ليه على الباب؟! ".

شيراز بنبرة تلقائية:

_" رسمت لوحة .. تحب تشوفها؟! ".

صُهيب بنبرة حانية يومىء برأسه إيجابًا:

_" أحب أوي وأهو بالمرة تعرفيني على جدك اللي بسمع عنه لكن عُمري ما شوفته ".

أولته شيراز ظهرها في طريقها إلى الخارج، أغلق باب بيته ثم سار خلفها حتى وصلا إلى بيتها .. فتحت البابَ بهدوء ليتبعها هو .. سارت صوب الغُرفة المُجاورة لباب المنزل وبابتسامة هادئة قالت وهو تُشير بإصبعها:

_" أعرفك بجدو ".

اِفتر ثغرهُ عن ابتسامة عريضة وهو يتوجه ناحية باب الغرفة، ما لبث أن زالت الابتسامة على الفور وهو يرى الغرفة فارغة .. تحركت شفتيه بهدوء وهو يقول:

_" فين؟! ".

شيراز بعينين تلمعان بالدموع:

_" على الكرسي بتاعه!! ".

زاغت عيناه حيث الكُرسي، كان فارغًا هو الآخر ويهتز بفعل الرياح، لا يوجد عصفورها بالمكان ولا يوجد مَنْ هو أنيسٌ لها، هل طار العصفور يا تُرى؟! وكيف ترى ما لا ترى عيناه!!!

.....

الفصل الخامس والأخير "

_" توافقُ قلبين _

" الأرواحُ على صفاء نواياها تتلاقى ".

تجهم وجهه حُزنًا عليها من هذه الدنيا الظالمة التي سلبتها كُل ما تُحب، تعلُقها به أوهمها بأنه حي يُرزق لم تقتنع البتة بفكرة موته، لقد توفي "قاسم" منذ ثلاثة أعوام مضت عندما كانت هي في السابعة والعشرين من عُمرها .. كانت تتخيله يُشاطرها يومها بحلوه ومره كما اعتادت منه .. يتلوى عليها آيات اللّه فتقرأ بعده وأحيانًا تنام من عذب صوته .. لا يمكنها أن تصف مدى فرحتها وهو يرتدي جلبابه وطاقيته ناصعة البياض مُقررًا الذهاب إلى المسجد بعد أن يُلبسها أحسن اللباس قائلًا: أنا الجُمعة ليلة عيد على

كُل مسلم .. فكانت بدورها تتجه معه إلى مصلى النساء وما أن تنتهي الخطبة والصلاة يعودان معًا إلى البيت وفي طريقهما يُحضر لها العديد من الحلوى والشيكولا .. علمها ذلك العجوز أن تحيا بأمل وحب الحياة .. علمها أن تخوض معركة الحياة بلا يأس .. أن تقتنع من أعماق روحها بأنها كأي فتاة لا يشوبها سوء وإن وُجد العيبُ فهو في الناس .. إصراره على تعليمها أنضج فكرها ولوّن مُستقبلها وزين روحها بفصوص من الماس.

_" فين الرسمة؟! ".

إستدارت "شيراز" بهدوء ثم توجهت إلى غرفتها تجلب منها اللوحة التي رسمتها بينما بقي هو في مكانه، لحظات ووجدها تخرج من الغُرفة وتحمل بين يديها النُصب الخشبي خاصتها، أسرع إليها يحمله عنها

فأمرته أن يضعهُ في حديقة المنزل. كانت اللوحةُ مُغطاةً. طلبت منه أن يقف بعيدًا عن اللوحة بمسافة ثم وقفت بجوارها وراحت تزيح الستار عنها كاشفةً عن صورة له، عبارة عن نصف وجهه المُعافى والنصف الآخر عبارة عن مجموعة ورود تتناثر على طول تفاصيله اليُسرى. حدق صُهيب في الصورة بفرحة عارمة .. أطال النظرُ إليها وما رغب أن يحيد بعينيه عنها مُطلقًا .. تنحنحت برقة ثم قالت بخفوت:

_" حلوة؟! ".

التفت لها بعينيه ثم دقق النظر إلى صفحة وجهها البريئة وراح يقول:

_" إنتِ حلوة كدا إزاي؟! .. إنتِ إزاي بالبراءة دي؟ بجد إنتِ إزاي كدا؟! ".

مطت شيراز شفتيها باستغراب فقد أستبهم عليها فهم ما يقوله، وبنبرة مُتلعثمة قالت:

_" ك كك كدا ".

صمتا معًا لبعض الوقت قبل أن تتفوه شيراز بنبرة هادئة:

_" عارف معنى اللوحة أيه؟! ".

صُهيب باستفهام:

_" أيه يا ترى؟! ".

سارت شيراز صوبه بخطوات ثابتة، رفعت كفها حتى أمسكت القناع الذي يضعه على وجهها كلما أراد الخروج من المنزل فوحدها هي مَنْ رأتهُ على حقيقته .. نزعت عنه القناع ثم أضافت بنبرة راقية:

_" حِبّ نفسك زيّ ما هي .. شوف نفسك بصورة الناس مش شايفينك بيها .. شايفينك مُشوه؟! شوف نفسك بُستان ورد .. ".

أنهت حديثها ثم أطاحت بالقناع أرضًا وهي تقول بنبرة هادئة:

_" أوعى تلبسه تاني ".

اِفتر ثغرهُ عن ابتسامة عريضة ثم أردف بنبرة عاشقة:

_" وإنتِ بتشوفي نفسك أيه؟! ".

شيراز بنبرة واثقة تنظُرُ إلى لوحتها الأنيقة:

_" دافنشي ".

_" بقولك أيه؟ إنتَ هتصغرني قدام الناس ولا ايه؟ قوم جيب المغدورة دي .. العريس زمانه على وصول ".

أردفت "هناء" بتلك الكلمات وهي تتجول في البيت تُرتب أثاثه وتُنظفه إستعدادًا للمناسبة الواعدة التي

تنتظرها بفارغ الصبر، تنهد ضياء بضيق وبنبرة مخنوقة قال:

_" كان لازم يعني تاخدي ميعاد النهاردة!! ".

هناء بعصبية شديدة وهي ترمي المنفضة من يدها:

_" أيوة كان لازم يا خويا .. دول ٥٠ ألف جنية يا عنيا، وأنتَ عارف مصاريف عيالك قسمت وسطي .. خلينا نرتاح لنا شوية بقى ولا إنت غاوي شقا ووش فقر ".

لم تنته الثواني على احتجاجها لتذيل حديثها بتهديد صريح:

_" ولعلمك بقى لو ما قومتش جبت البت دي تقعد مع عريسها، هتطلقني وهسيب لك البيت بعيالك وأمشي من وشكم"

زفر ضياء زفيرًا مخنوقًا وهو يهب من مكانه على الفور قائلًا بنبرة مُنفعلة:

_" يووووه، أنا مش هخلص من زنك، أنا غاير أجيبها ".

التوى شدقها آنذاك وهي تنظُر له شزرًا ثم تقول:

_" بالسلامة يا خويا ".

_" أخبار ابنك أيه يا مدام دولت؟! ".

أردفت إحدى السيدات بتلك الكلمات وهو تجلس بصُحبة والدة صُهيب بأحد النوادي الرياضية التي تتردد عليها بين الحين والآخر لأداء بعض التمارين. ابتسمت دولت بالكاد وبنبرة جاهدت أن تبدو طبيعية قالت:

_" هو كويس جدًا الحمد للّه .. بس حابب يكون لوحده شوية ".

السيدة بنبرة مُستنكرة:

_" يكون لوحده شوية أيه بس .. دا من ساعة الحادثة وهو بعيد وما بقيناش نسمع أخبار عنه .. فين أيام البطولات في نادي السلة .. الشاب الحليوة الروش اللي كُل البنات كانت تتمناه .. إلا صحيح بتسمعي أي أخبار عن نهى!! ".

زفرت دولت بحنق .. هزّت ساقها بعصبية خفيفة قبل أن تقول بنبرة حادة:

_" ماعرفش .. ولا عايزة أعرف .. كفاية كسرتها لابني بعد ما حارب الدنيا كلها علشانها وبعد إذنك بقى علشان عندي چيم"

رمقتها دولت شزرًا وبُغضًا قبل أن تنصرف من أمامها والنيران تتقد بين جدران قلبها المكلوم على ولدها

الذي ضاع شبابه قبل أن ينعم به. أرادت أن تبكي وتصرخ عاليًا ولكنها قاومت هذه الأحاسيس كي تستطيع استكمال حياته بعد أن أضحت خاليةً منه.

قامت رؤى بوضع الأطباق على المائدة الصغيرة التي تكفي لفردين فقط، وجهها يَبش تلقائيًا في وجه كُلّ من تقابله، فصديقتها مُغرمة وأخيرًا. إنتهت من وضع الطعام على المائدة ثم نادتها بنبرة عالية قليلًا:

_" شيراز .. يلا العشا جاهز ".

أطلت عليها شيراز من غرفتها برداء طويل يصل إلى كاحلها باللون الأسود من خام الحرير، وتحيط بخصرها فيونكة باللون الأحمر كما أنها تضع فيونكة أخرى على شعرها الناعم كصاحبته.

أطلقت رؤى صفيرًا عاليًا تُغازلها بطريقة شبابية وبابتسامة سعيدة قالت:

_" هو الحُب بيعمل كدا؟ دا أنا هروح أولع في شريف ".

توردت وجنتاها خجلًا وهي تجلس إلى كرسيها على الفور، أسرعت رؤى بالجلوس هي الأخرى ثم تناولت ملعقتها وراحت تقول برضى بالغ:

_" لو أعرف أن الحُب هيخليكِ منورة كدا كُنت جوزتك شريف ".

تناولت شيراز ملعقتها ثم تابعت قبل أن تضعها في طبقها الخاص:

_" بـ بتحاولي تخلصي منه وخلاص!! ".

إنطلقت الضحكات من أفواههن وفي هذه اللحظة سمعن صوت دقات مُلحة على باب الشقة .. أشارت رؤى لصديقتها أن تلتزم مكانها وتوجهت هي لفتح الباب.

_" فين شيراز؟! ".

ابتلعت رؤى ريقها بصعوبة شديدة وقبل أن يتسنى لها الرد ، أبعدها عن الباب بذراعه ثم دلف إلى الداخل فورًا .. حدقت فيه شيراز بوجه عابس ..دفنت عُنقها بين كتفيها وهي تشيح بنظراتها عنه .. بينما هرع إليها باندفاع وغضب جامح ثم قبض على ذراعها قائلًا بنفاد صبر:

_" قومي علشان عريسك مستنيكِ!! ".

اغرورقت عيناها بالدموع وهي تومىء برأسها سلبًا ثم تقول بنبرة باكية:

_" لأ ".

وصل غضبه في هذه الأثناء إلى أشده فأسرع بالضغط على ذراعها بقوة جعلتها تنزل عن مقعدها وتتعثر في مشيتها حينما بدأ يجرها خلفه وهو يقول بنبرة مختنقة:

_" كفاية بقى خنقتيني وبسببك بيتي هيتخرب، من يوم ما جيتي للدنيا وأنا مافرحتش يوم .. خناقات مع أمك وهيبقى كمان خناقات مع هناء .. إتجوزي بقى وريحيني من قرفك ومسؤوليتك ".

ضغطت رؤى على عينيها بغضب ثم صرخت فيه بنبرة عالية للغاية:

_" مسؤوليتها فين دي؟ وإنتَ من إمتى كُنت لها أب؟ إنتَ إنسان ظالم ومش هتورد على جنة .. سيبها إبعد عنها ."

ضياء بنبرة صارمة يُحذرها:

_" إنتِ ما تتدخليش بيني وبين بنتي ".

شهقت شيراز بنحيب وخوف، مالت بجسدها إلى الأرض ثم التقطت لوحتها المطوية التي تحمل صورته فقد أخبرته بأنها لم تنته منها بعد ثم ضمتها إلى أحضانها.. هرولت قطتها إليها فقامت بحملها وبنبرة باكية توسلت له:

_" لو سمحت خليني مع جدو!! ".

قاسم وهو يصرخ فيها بلا رحمة أو رفق بحالها:

_" جدك مات .. مات من زمان ".

أجهشت في البكاء أكثر وهي تضم لوحتها وقطتها بحذر كي لا تفقدهما. أرغمها على السير معه .. جاهدت رؤى كثيرًا كي تمنعه من أخذها .. ولكنه جرها خلفه واركبها سيارة استأجرها خصيصًا كي ينقلها إلى بيته.

وقفت رؤى تنظُر إلى السيارة تبكي مغلوبة على أمرها، ظلت تلتفت حولها بتيه وحسرة وهنا تذكرته!! صُهيب؟ عليها أن تطلب مساعدته فورًا .. هرولت إلى بيته تطرقه بنفاد صبرٍ فكلما تأخر في استجابته كلما طالت المسافة وذهبت صديقتها بلا عودة.

وهنا قام صُهيب بفتح باب المنزل ينظر إلى ذلك الطارق غير الصبور .. لتصيح رؤى بنبرة مُجهدة من فرط البُكاء:

_" شيراز ".

مرّ الوقتُ سريعًا، أدخلها والدها إلى بيته عنوة وسط أنينها الصامت وهي تجوب المنزل بنظرات خائفة، لا تألف مكانًا سوى منزلها الذي ترعرعت به. دفعها قاسم بقوة أمامه بينما التفتت إليه بخوف ثم رددت بنبرة خافتة:

_" لو سمحت!! .. عايزة أروح عند جدو ".

خرجت هناء عليهما وهي تحثهما على الصمت فالضيف ينتظر بالداخل، نحت ببصرها إلى شيراز ثم قالت بنبرة ساخطة:

_" انجري قدامي! ".

جذبتها من ذراعها بعُنف وصرامة ثم توجهت بها إلى غرفة الضيافة، دفعتها إلى الغرفة ثم دخلت هي

وابتسامة عريضة تظهر على فمها وهي تقول بنبرة مُرحبة:

_" أهلًا بيك يا فندم .. أقدم لك عروستنا .. شيراز .. اقعدي يا حبيبتي مع خطيبك ".

أطرقت شيراز برأسها في خوف وكفيها ترتعشان بصورة كبيرة، تقدمت هناء منها ثم قالت بنبرة لينة مُخادعة تتحدث إليها:

_" هاتي يا حبيبتي الحاجات دي أشيلها لك ".

أومأت شيراز بنفي قاطع وهي تعطيها ظهرها، حدجتها هناء شزرًا ثم تابعت بنبرة صارمة من أسفل فكيها:

_" طيب أقعدي يا حبيبتي .. أقعدي ".

جذبتها بهدوء تتظاهر به أمام الناس حتى أجلستها على الكرسي المُجاور للرجل ثم غادرت الغرفة وأغلقت البابَ خلفها .. طالعها الرجل بنظرة جريئة يتفحص تفاصيل جسدها بدقة وإمعان .. لا تزال تضم أشياءها بين ذراعيها .. قطب الرجلُ ما بين عينيه باستغراب ثم تابع مُتسائلًا:

_" شنو اللي معاكِ هذه؟! .. تبقين ضامه القطوة هذه كثير!!"

أشاحت ببصرها بعيدًا عنه في خوف يلتهم أحشائها، لم تنبس ببنت شفةٍ بينما تابع هو بنبرة مُتغزلة بها:

_" اسمك حلو مثلك .. إنتِ مستحية؟! ".

قال جملته هذه وهو يمدّ كفه إلى ذقنها يتحسسه بدناءة وهو يدير وجهه إليها .. انتفض جسمها بهلع من

لمسته .. وهي تصدر زمجرة خفيفة إعتراضًا على قربه منها .. تركها بهدوء ثم جذبها من ذراعها كي تقترب منه أكثر وبنبرة خبيثة قال:

_" طلعتي أحلى من تخيلاتي .. هو أنا أبي أتجوز مصرية من قليل؟! .. أصلكم حلوين كثير .. تتحطوا على الجرح يطيب"

انكمشت على نفسها وهي تقاومه واضعةً مسافة بينهما ، وفي هذه اللحظة سقطت القطة من ذراعها وهرولت خارج الغرفة، تلعثمت شيراز قليلًا وهي تنهض من مكانها وتقول:

_" هجيب قطتي ".

الرجلُ وهو يتفحصها من الخلف بعد أن أولته ظهرها متوجهًا نحو الباب:

_" عظيم أوي ".

خرجت شيراز من الغرفة بخطوات مُضطربة خشية أن يُعنفها والدها، بحثت بهدوء عن قطتها فوجدتها مُرابطة بالباء ولا يوجد أحد بالصالة .. اتجهت ببصرها إلى غرفتهما فوجدت بابها مواربًا .. ابتلعت ريقها بصعوبة وهي تنظُرُ إلى قطتها تارة وباب المنزل تارة أخرى .. حسمت أمرها أن تخطو خطوات خفيفة حتى تستطيع الفرار .. سارت حيث الباب وقامت بفتح المزلاج بحركة خفيفة .. كانت تحتضن لوحتها وما أن فتحت الباب حتى وجدت قطتها تنطلق قبلها فباءت هي بالفرار .. هرولت على الدرج تهبطهُ .. وما أن وصلت إلى باب الشارع حتى أصابتها الحيّرة .. أي طريق تسلك يا تُرى؟ كيف تعود إلى بيت جدها الحنون؟ ..

هرولت في الشارع بخوف وأنفاس لاهثة وقطتها تجري أمامها .. حتى وصلت إلى الطريق العمومي .. كان الظلامُ يخيم على الأرجاء .. ظلت تجهش في بكائها وهي تصرخ بخوف من هذا العالم الكبير .. تنادي جدها قاسم .. ربما يسمعها ويأتي .. وعندما خابت ظنونها صاحت تنادي اسمه لأول مرة:

_" صُهيب!! ".

شعرت بحالة دوار تُسيطر على رأسها بشكل كامل .. خرجت من شارع جانبي لتجد سيارة أمامها كادت أن تدهسها فسقطت مُغشيًا عليها في الحال .. نزلت المرأة التي تقود السيارة فورًا هرولت إليها ثم جثت على ركبتها وراحت تضع رأسها على ساقها تقول بقلق:

_" طلعتي ليّ منين بس؟ قومي يا حبيبتي، فوقي أنا حياتي فيها اللي يكفيها ".

بدأت شيراز تُحرك أهدابها بثُقل ونبضات خافتة، ساعدتها المرأة على الوقوف ثم أدخلتها إلى السيارة وأغلقت الباب وعلى الفور استدارت حيث مقعدها ولكنها وجدت اللوحة مُلقاة بالأرض والقطة تقف إلى جوار إطارات السيارة بوداعة ففهمت الأخيرة أنهما من ممتلكات هذه المجهولة فقامت بوضعهما إلى جوارها بالسيارة.

_" فين شيراز؟!!!! .. وديتها فين؟؟! ".

صرخ فيه صُهيب بصوت جهوري وهو يقبض على ياقة قميصه ويكاد أن يُمزقها من شدة الغيظ، حدق فيه ضياء بغضب جامح وهو يُحاول إبعاد قبضتيه عنه وبنبرة حادة قال:

_" وإنتَ مين وبتسأل عنها بصفتك أيه؟!! ".

رؤى وهي تُجابهه بنبرة ناقمة:

_" بصفته اللي هيكون جوزها .. وديت شيراز فين؟! كفاية ظُلم بقى وإنتِ عارف إنها مغلوبة على أمرها ومش هتقدر تدافع عن نفسها "

كان الحوارُ يدورُ في مُنتصف الشارع فقد خرج ضياء وزوجته يبحثان عنها بعد علمهما بهروبها .. فقد إعتقدوا للحظة أنها سوف تخشى الطريق ولن تقودها قدماها إلى أبعد من حيز منطقتهما .. ولكنها تبخرت ولم يعُد لها أثر .. وفي هذه اللحظة صاحت هناء بنبرة عالية تُرثي حالها بهذه الزيجة السيئة .. تأججت نيران الغضب في عينيها وراح يلتفت لها قائلًا بنبرة صارمة أخافتها:

_" اخرسي!! .. سامعة؟ ".

توترت هناء من لهجته وخاصة هيئته التي أرعبتها، هرولت بالدخول إلى المنزل بينما التفت صُهيب نحو الأخير ثم قال بنبرة حادة:

_" مخبي شيراز فين؟! ".

الرجلُ بنبرة جامدة:

_" هربت ".

شهقت رؤى بفزع وهي تصيح فيه بصدمة:

_" هربت فين؟ وهي تعرف أيه هنا!! يا شيخ حسبي اللّه ونعم الوكيل فيك .. ربنا ينتقم منك ".

أبعد صُهيب قبضتيه عن ضياء وهو يبتلع غِصّة مريرة في حلقها، استبد به الخوف وأهلك روحها من كلمة

قيلت، هل ضاعت منه إلى الأبد؟! وخسرها في النهاية، إبتعد عن الرجل تائهًا يهرول في الأنحاء كالمجنون .. تهرول رؤى خلفه وعيونها تجوب الشوارع بحرص علها تجدها جالسةً بإحدى الزوايا تبكي بحسرة وضعف يمنعها من مقاومة أبسط المواقف التي تتعرض لها في حياتها.

توقف صُهيب عن العدو فجأة وهو ينظُر حوله بعينين دامعتين، لتخرج منه صرخة مدوية وهو ينادي باسمها بكُل جهده وأوجاعه:

_" شيررررررراز .. ما تمشيش ".

وقفت رؤى على جنب تبكي بانهيار وألم .. وقتها وجد هاتفه يرّن .. إنها والدته .. ولكن لا قُدرة له على الرد .. ألحت في اتصالاتها فقرر الرد:

_" أيوة يا أمي!! ".

دولت بنبرة باكية:

_" صُهيب علشان خاطري تعالى .. عايزة أشوفك .. أنا تعبانة أوي .. ومن قلة تركيزي كُنت هخبط بنت بعربيتي وجبتها البيت لمّا أغم عليها ".

تنهد تنهيدًا ممدودًا بعُمقٍ وبنبرة هادئة قال:

_" ماشي يا أمي .. هاجي ".

أغلق الهاتف على الفور، التفت إلى رؤى التي تبكي في صمت وبنبرة مُجهدة قال:

_" لمّا شريف يوصل دوروا في المكان هنا كويس،مش عايزكم تبعدوا عن البيت يا رؤى لأنهم لو لقوها مش هيقولوا لنا ".

أومأت رؤى برأسها في تفهم، سار صُهيب إلى الطريق حتى استقل سيارة أُجرة في طريقه إلى بيته الذي لم يزوره منذ زمن، تجمدت دموعه في محجريهما وهو

يدعو اللّه أن يحفظها له .. استودعها عند اللّه وكُله أمل في العثور عليها .. ظل صامدًا بدلًا من أن يقنط فيُجازيه اللّه .. وصلت السيارة أمام الڤيلا .. نقد السائق حقه .. ثم دخل على الفور .. طرق الباب ففتح له أحد الخدم وعيناه تملأها الدهشة .. توجه إلى الداخل دون أن ينبس ببنت شفةٍ ليجد والدته تجلس ببهو الڤيلا .. وما أن رأتهُ حتى هرولت إلى أحضانه وهي تقول ببكاء:

_" ابني، وحشتني أوي يا صُهيب!! ".

صُهيب وهو يتنفس بصعوبة:

_" وإنتِ كمان يا أُمي، إنتِ كويسه؟! ".

أومأت دولت برأسها إيجابًا .. همَّ أن يستأنف كلامه ولكن أوقفه صوتٌ مألوفٌ .. مواء قطة يعرفه جيدًا ..

التفت إلى مصدر الصوت فوجدها چامي!!! .. انفتحت عيناه على وسعهما وهو يصيح بنبرة مضطربة:

_" مين جاب القطة دي هنا؟!! ".

دولت بنبرة حزينة:

_" دي قطة البنت اللي أُغم عليها قدام عربيتي .. إتطمنت عليها وفاقت بس شكلها مُجهدة فسب ... ".

لم ينتظر إنتهاء حديثها .. فهرول بأقصى سرعة له صوب الدرج يصعده .. فتح غرفة والدته فكانت فارغة .. إنتقل إلى غرفته فكانت فارغة كذلك .. هرول على أمل كبير إلى غرفة النوم الخاصة بالضيوف فيفتحها باندفاع جارف فوجد ..

كانت هي كما توقع .. مُتسطحة على الفراش ببراءة تظلمها وسط هؤلاء ذوات الأنفس الدنيئة .. شعرها مفرود بطريقة ناعمة على الوسادة .. تحتضن اللوحة التي تحوي صورته بين ذراعيها. تأملها غير مُصدقٍ أنه وجدها .. لا لم يجدها بل وضعها اللّه في طريقة للمرة الثانية .. نعم هي قسمته ونصيبه من الدنيا .. هذا دليلٌ واضحٌ من ربه .. عندما تاه في الدنيا وجدته هي .. وعندما تاهت هي وجدها في بيته .. تنام في سكينة ووداعة.

جثى على ركبتيه أمام الفراش وقد خارت قواه هذه المرة، ربما أراد أن يتخلص من كم الأوجاع التي عاناها في اللحظات الماضية عندما ظن أنه الفراق. أجهش باكيًا للمرة الأولى منذ فترة طويلة .. وضع وجهه بين كفيه يبكي بانهيار كبير وبنبرة راضية تابع:

_" الحمد للّه يارب .. أنا مش هبعد عنك تاني .. أنا طريقي معاك .. ما تبعدهاش عني يارب دا هي سبب هدايتي ".

زوت دولت ما بين عينيها في ذهول وهي تستمع إلى حديثه، تنظُرُ إليه تارة وإليها أُخرى وبنبرة فضولية تابعت وهي تتجه إليه بقلق:

_" صُهيب، إنتَ تعرفها؟! ".

أومأ برأسه بقوة .. محى الدموع عن عينيه ثم وقف في مكانه وهو يقول بنبرة هادئة:

_"ياااه .. دا أنا ما أعرفش غيرها أساسًا ".

دولت بنبرة متحيّرة:

_" هي مين دي يا صُهيب ".

صُهيب وهو يتأملها براحة كبيرة:

_" نور ضلمتي .. حبيبتي ".

وفي هذه اللحظة أمسك هاتفه ثم أسرع بالاتصال على صديقتها، أخبرها أنه وجدها أخيرًا وأنها بخير معه .. طلب منها أن تدون عنوانه ثم تذهب إلى والد شيراز وتُحضره معها إلى ذلك العنوان في غضون ساعة ثم أغلق على الفور.

_" أنا مش فاهمة حاجة!! ".

صُهيب بابتسامة عريضة:

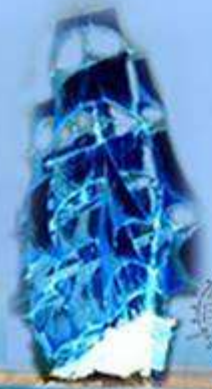

_" اطلبي مأذون يا أمي ".

دولت بعينين مُتسعتين يملأهما الصدمة تهتف:

_" نعم؟! ".

صُهيب وهو يتجه إلى الفراش ثم يجلس على طرفه بهدوء وحذر:

_" زيّ ما سمعتي يا أمي ..مش عايزاني أتجوز وأرجع أعيش معاكِ!! .. يبقى تطلبي مأذون حالًا ".

ضربت دولت كفًا بالآخر وهي تتجه خارج الغرفة .. أمدّ كفه يمسد على شعرها برفق .. يتأمل تفاصيلها الرقيقة .. في نومها أجمل بكثير من صحوها .. هي في كُل الأحوال والأزمان جميلة .. تشبهه .. تليق به .. يؤمن الآن بأن حواء فعلًا تُكملُ الناقص من آدم.

_" شيراز!!! .. اصحي ".

ربت على وجنتها برفق بالغ، كرر فعلته حتى وجدها تنتفض من نومتها وهي تصرخ بنبرة مُتحشرجة .. اقترب منها أكثر ثم جذبها إليه وراح يربت على ظهرها بهدوء يقول:

_" ما تخافيش .. أنا صُهيب .. هفضل جنبك طول العمر .. ماحدش هياخدك مني أبدًا ".

أجهشت في البكاء وهي تدفن نفسها بين ذراعيه .. تصرفها يؤكد له مدى رغبتها في أن تختفي عن هذه الدنيا ولكنها لا تفهم كيف تشرح رغبتها تلك لطالما مفهوم الموت لديها لا يُقنعها كثيرًا. تنهد براحة ثم قال يسألها:

_" شيراز .. عايزه تكوني معايا على طول؟! ".

أغمض عينيه يضغطها بقوة، وضع يده على قلبه يخشى ردها الذي قد يؤذيه .. صمتت شيراز لحظات مرّت عليه دهرًا وهنا قالت شيراز بنبرة تلقائية تمسح دموعها بملابسه:

_" عايزه .. متودينيش عندهم ".

تنفس الصعداء ما أن سمع موافقتها .. تهللت أسارير وجهه فرحًا .. دقائق وجاءت والدته تُخبره أن مجموعة من الناس في انتظاره وأن المأذون قد حضر من دقائق مضت .. تدلى عن الفراش ثم مدّ كفه لها وراح يقول بحُب:

_" هاتي إيدك وتعالي معايا ".

مسحت شيراز دموعها وأنفها بظاهر كفها .. ظلت تنظُرُ إلى كفه الممدود لها طويلًا .. لم يشعر بمثل هذا

الشعور من قبل عندما وضعت راحتها الصغيرة بين قبضته .. استسلمت لحُبه وقد وضعه اللّهُ في قلبها بدون سؤال .. سارت معه حتى بهو الڤيلا .. حدجها والدها بغضب شديد وما أن رأته هي حتى وقفت خلف ظهره تحتمي به من بطش والدها القاسي .. وقف صُهيب أمامه بنبرة صارمة قال وهو يضع حقيبة أمامه ببرود:

_" عِدهم .. ٥٠ ألف جنية .. الفلوس اللي كُنت هتبيع بيها بنتك لواحد هدفه المُتعة .. دفع لك علشان السرير وإنت عارف وراضي .. أهم قدامك أشبع بيهم بس إبعد عن مراتي للأبد ".

ضياء بصدمة:

_" مراتك؟! ".

صُهيب وهو يبتسم بطريقة مُستفزة:

_" أه، هو إنت مش أخدت الفلوس؟ الفلوس دي مش للّه وللوطن دا إنت هتمضي على عقد جوازنا بصفتك ولي أمرها ، ونعم واللّه!! ".

قام صُهيب بجذبها برفق من خلف ظهره ثم قادها حتى جلست على الأريكة بجوار والدته، أشار للمأذون أن يبدأ بإجراءات الزواج .. أحضر المأذون الشهود معه بطلب من صُهيب، أمدّ لها الدفتر ثم تابع بنبرة هادئة:

_" شيراز حبيبتي .. اكتبي اسمك هنا .. بعد ما تكتبيه هتبقي معايا ".

كانت شيراز تتجنب النظر إلى أعين والدها خوفًا منه، أمسكت القلم بكف مُرتعش ثم خطت اسمها على

الفور ..ومضى البقية كذلك .. ليُعلنهما المأذون رسميًا زوجًا وزوجة.

في هذه اللحظة وقف صُهيب في مكانه بشموخ وصرامة ثم تابع متوجهًا بحديثه إلى ضياء:

_" تقدر تمشي .. نورتنا ".

نظر قاسم إلى الحقيبة ببهجة كبيرة وإنطلق إلى بيته على الفور غير عابىء بأمر ابنته. ليس هناك مُشكلة أن يتخلى عنها مُقابل مبلغًا من المال يُغير مجرى حياتهم. أسرع إلى بيته على الفور يُنادي زوجته بفرحة عارمة وأن المالَ أصبح بحوزته الآن وقد تخلص من ابنته وزوجها .. توجه إلى غرفة نومه فوجد ورقة كتبتها زوجته .. تسب أيامها معه .. تُخبره أنها سوف تتحرر من الفقر الذي أقحمها فيه .. وأنها هربت مع

ذلك الخليجي دون عودة .. فابنته ليست أفضل منها في شيء ومن حقها أن تنبذ حياتها معه وتبحث عن الأفضل.

سقطت الحقيبة من يده وسقط أرضًا في صدمة .. هذا هو عدلُ اللّه ولا يظلم ربك أحدًا.

ودعتها رؤى وداعًا مؤقتًا على أمل باللقاء غدًا، نادتهُ الدتهُ كثيرًا أن يُفسر لها ما يجري ولكنه فضل قضاء الوقت بصُحبة حبيبته ورفيقته .. فقد إشتاق لها وهي غائبة .. يشتاق لها وهي أمامه .. وسوف يشتاق لها دائمًا وأبدًا.

لم تحفل دولت بتفسيره لها بقدر سعادتها بعينيه اللامعتين اللاتي تشعان بهجة وسرور .. أغلق باب

الغرفة خلفه ثم أجلسها على الفراش وراح يُقبل كفها مرات عديدة وبنبرة هائمة قال:

_" عارفة كلمة بابا اللي ما كُنتيش بتقوليها .. هتتقال ليّ من هنا ورايح ".

_" صُهيب ".

نادته بنبرة هادئة وهي تُشير بأناملها إلى شعرها .. قطب ما بين عينيه وهو يقول بنبرة مترقبة:

_" ناديني بابا !! ".

شيراز بابتسامة هادئة:

_" ببـ بابا ".

صُهيب وهو يتلذذ بسماعها:

_" يا نهار طفولة .. دا إحنا هنقعد نقولها للصبح يا شيراز .. ها مالو شعرك؟! ".

شيرازُ وهي تلوي شفتيها بحُزن:

_" اعملي ضفيرة زيّ بتاعة جدو ".

زم شفتيه باستغراب .. فهو لم يجرب أن يفعلها قط .. أولته ظهرها بقرار منها .. حاوط شعرها بكفيه وبدأ في محاولة ظنها ستفشل .. اندمج في الأداء والسعادة تغمُره وما أن إنتهى حتى أنزلت قدميها عن الفراش وألفت وجهها صوب المرآة ثم نظرت إلى جديلتها وراحت تلوي شدقها باستنكار وخيبة أمل:

_" مش زيّ بتاعة جدو ".

تنهد بهدوء قبل أن يجثو على ركبتيه أمامها ثم يضع رأسه على ساقيها ويقول بنبرة عاشقة:

_" إنتِ نعمة في حد ذاتك .. إنتِ من أول حياتك كُنتِ حظي وقسمتي .. إنتِ نوري في ضلمتي .. إنتِ رزق في حياتي ولحد يوم مماتي .. هتبقي ليّ دنيتي ".

تركت أناملها تسرح داخل خصلات شعره .. ظلت تبتلع ريقها عدة مرات .. هناك شيء ما يُثقل صدرها ولو أفصحت عنه لارتاحت .. تنهدت بهدوء قبل أن تنطق اسمه:

_" صُهيب! ".

رفع وجهه لها ينظُر إليها بحنان بالغ .. فيما اِفتر ثغرها عن ابتسامة رقيقة وتوردت وجنتاها وهي تقول بنبرة متوترة:

_" هو أنا مش هلبس فستان!!! ".

حك مُقدمة رأسه بمرح ..رفع حدقتيه للأعلى يتصنع التفكير وما هي إلا لحظات حتى قال بنبرة هادئة وهو يومىء برأسه إيجابًا:

_" أكيد هتلبسي أحلى فستان .. بس قولي ليّ بحبك؟ ".

شيرازُ وهي تبتسم برقة ثم تقول بنبرة خافتة:

_" ببـ بحبك ".

وفي هذه اللحظة مال على كفيها يُقبلهما بحُب دفين، لم تكُن تنجح المُعادلة دونهما .. هو المشوه وهي تلك الطفلة التوحدية ربما ينقصهما الكثير أمام المُجتمع بينما في الحقيقة لا يوجد اكتمال أنسب من وجودهما معًا. ليس كُل ما ظهر للناس حقيقيًا ربما يكون نصف الحقيقة أو صورة خالية من الحقيقة

تمامًا، فالناسُ لا يمتلكون سوى معيار السطحية في أحكامهم بينما يوزعُ اللّهُ الأقدارَ بعدل يليق بعظمته كما يليق بدناءة أحكامنا.

(تمت بحمد الله)

#أوتيزم (المُختارة)

#على ضفاف الأزرق

#مصر

#علياء_شعبان